ثورة الكرامة المصرية

عودة مصر الشباب والهوية

دكتور

حمدى الفرماوى

أستاذ علم النفس التربوى



مكتبة الأنجلو المصرية

ثورة الكرامة المصرية

(عودة مصر الشباب والهوية)

الدكتور

حمدي على الفرماوى

أستاذ علم النفس التربوي

كلية التربية - جامعة المنوفية

رئيس الجمعية المصرية للدعم النفسي

٢٠١١

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، إدارة الشئون الفنية .

الفرماوى ، حمدى.

ثورة الكرامة المصرية:عودة مصر الشباب والهوية

تأليف : حمدى الفرماوى– ط١. –

القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٠١١.

٩١ ص ، ١٧× ٢٤ سم

١ – مصر- تاريخ- الثورات.

أ- العنوان.

رقم الإيداع : ٤٣٩٦

ردمك : ٤-٢٧١١-٠٥-٩٧٧ تصنيف ديوى : ٩٦٢

المطبعة : مطبعة المنوفية

توزيع: مكتبة الانجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد

القاهرة – جمهورية مصر العربية

ت : ٢٣٩١٤٣٣٧ (٢٠٢) ؛ ف : ٢٣٩٥٧٦٤٣ (٢٠٢)

E-mail : angloebs@anglo-egyptian.com
Website : www.anglo-egyptian.com





بكل الحب والتقدير والعرفان

أهدى هذا العمل المتواضع

- **إلى** أرواح شهداء ثورة الكرامة الأبرار، الذين رووا بـدمائهم الذكية أرض مصر العزيزة الأبية ...
- **إلى** شباب مصر الأحرار، الذين كسـروا حـاجز الخـوف وأشعلوا شُعلة الحرية والكرامة، والتى لن تنطفئ أبداً، بـإذن الله تعالى.
- **إلى** مؤسسة القوات المسلحة الأمينة بقياداتها وأفرادها، والتى وقف الشعب فى حمايتها يُطالب بالحرية والكرامة..
- **إلى** جميع طوائف الشعب من شباب ورجال، والذين تعـاونوا فى أروع صورة وتجمعوا على قلب رجل واحد فـى سـبيل حماية الجبهة الداخلية أثناء الأيام العصيبة الأولى للثورة ..
- **إلى** كل مواطن دافع عن شرف انتسابه لمصر، ولم يستسـلم لمهرجانات النفاق والخداع، ورفض التهاون في حمل أمانته، بل نطق كلمة الحق دوماً..





يا مصر إن لم أسق أرضك من دمي

يروي ثراك فلا سقاني النيل

فهرس الموضوعات

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ صدق الله العظيم

سوف يقف التاريخ طويلاً أمام يوم ٢٥ يناير من عام ٢٠١١ إجلالاً وتقديراً ، وسوف تقف شعوب العالم، والدوائر العلمية أمام هذا اليوم العظيم تدرس وتتأمل أحداثه وأسبابه ، لتصل إلى دروس كثيرة وعبر عديدة ونظريات في السياسة وعلوم النفس والاجتماع، وحيث قد أعطاها الشعب المصري للعالم بأسره فى هذا اليوم الذي خرج فيه يطالب بعودة كرامته وحريته ويهزم الظلم والتخلف والاستبداد والتسلط، وأهم من ذلك كله، أن ينتصر على نفسه ويكسر حاجز الخوف، منتصراً على ترسانة الأمن والأغلال الحكومية ..

لقد اندلعت ثورة الكرامة المصرية التى أشعلها شباب مصر تعبيراً عن الظلم والمساس بالكرامة، ورفضاً لما آلت إليه أحوال المجتمع المصري من تردى للأوضاع الاقتصادية والسياسية والإجتماعية والتعليمية .. ورفع الشباب شعار "الكرامة والحرية والعدالة الاجتماعية".

إن مفهوم الكرامة يتضمن قيمة إحساس النفس بعزتها وقيمتها واعتبارها وكينونتها وثرائها، وغياب هذا الإحساس عن الإنسان يعنى أن يعيش الإنسان الهوان وفقد القدرة على تأكيد ذاته .. ولم يكن هذا الإحساس بالكرامة لجميع طوائف الشعب وأطيافه موجوداً قبل ٢٥ يناير، سواء أكانوا كباراً أو صغاراً، ميسورين أو معسرين، رجالاً أو نساءً ..

فقد وصل الإحساس بالإنسان المصري إلى شعوره بأن بلده لم تصبح بلده، وأن أرضه لم تعد أرضه ، إنه الشعور بالقرف أو الاستئصال .. حيث أصبح المواطن يعيش حالة من الانفعال الشديد الحاد الذى يعطيه الإحساس بأنه لم يصبح مواطناً فى هذا الوطن، لكن الوطن أصبح لغيره من الأقزام ذوي النفوذ والسلطان ..

ولقد أدى هذا الانفعال بالشعب إلى حالة من العنف بجميع صوره قبل الثورة ، سواء أكان عنفاً على المجتمع ، أو عنفاً على الذات .. ففى العامين السابقين على الثورة تعددت المظاهرات والاعتصامات ، ثم تطورت إلى سلوكيات عنيفة بين طوائف الشعب نفسه ، وخرج العنف من البيوت إلى الشوارع والهيئات والمؤسسات ، حتى إلى ساحة المجالس النيابية .. ثم تكررت حالات انتحار الشباب بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، كالموت فى مراكب تنقل الشباب إلى جنة أوروبا التى يحلمون بها، بعد أن ضاق بهم وطنهم .. ثم وصل الأمر إلى إشعال المصري النار فى جسده فى الشوارع وأماكن العمل، احتجاجاً وتزمراً وغضباً مما يحدث ، كل ذلك وحكومة الحزب الوطنى الغبية لا تعى ولا تسمع إلا نداء التخلف داخلها .. وكان لابد أن تتجمع كل هذه الطاقات .. تجمعاً منظماً وحول هدف واحد .. إلى أن قاد هذه الطاقات شباب مصر الحر .. الذين حولوا عالمهم الافتراضى عبر الإنترنت إلى عالم واقعى ، حاملين أرواحهم على أكفهم .. واندلعت ثورة الكرامة المصرية .. فجددت شباب مصر وهويتها .. بعد أن وصلت إلى أرذل العمر .. وبعد

أن اعتبرها العالم فى مرحلة النهاية ، وحيث الشعب قد تحول في نظر الأباطرة إلى مجرد كائنات تأكل لتعيش أو كائنات تعيش لتأكل ...

- فما هى البيئة المجتمعية التى مهدت لثورة الكرامة ؟
- وما الأسباب المحددة لقيامها ؟
- وما المراحل النفسية التي فجرت الثورة، في ضوء حالة العنف الذي كان سائداً في المجتمع المصري ؟
- وما الآثار المترتبة على اندلاعها، أو ما يمكن أن نطلق عليه آثار ما بعد الصدمة وإدارة الأزمة ؟
- وما هى رياح التغيير المتوقعة لعودة مصر إلى شبابها وهويتها ؟

من هنا جاء الكتاب الحالى، الذي كتب مع الدقيقة الأولى للثورة ومراحلها... والذى أود أن يكون قادراً على أن يرد على هذه الأسئلة المهمة ، وغيرها... متمنياً أن يجعله الله فى ميزان حسناتى يوم القيامة.. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

صدق الله العظيم

شبين الكوم

١٢/ ٢/ ٢٠٠١

المؤلف

أ.د حمدي على الفرماوي

موقع إليكتروني

comwww.kyptospsychology.

بريد إليكتروني

hamdyfahl2005@yahoo.com

الفصل الأول

قراءة في المشهد المصري
قبل ثورة ٢٥ يناير

- الخصائص الفطرية في الشخصية المصرية.
- اعتداء النظام السابق على الشخصية والهوية المصرية.

من المهم جداً أن نتعرف في الفصل الحالي على ما حدث للمجتمع المصري من تغيرات سلبية جذرية نتيجة اعتداء النظام البائد قبل ثورة ٢٥ يناير على بنية هذا المجتمع وكرامة المصريين، الأمر الذي أدى إلى تغيرات سلبية في سمات المصريين وتوجهاتهم فاضطربت هويتهم، للدرجة التي أدت بشبابهم وشيوخهم إلى فقد الأمل والشعور بالعجز وفقد الطاقة الحيوية في نفوسهم، والشعور بالخزى أحياناً أمام جنسيات أخرى، تلك التي تنصرها سياسات الحكومات المصرية-على حساب حقوق المواطن المصري، ووصل الحال بالبعض من المحللين إلى اعتبار الشعب المصري في حالة احتضار، ولن يعود إلى الإفاقة، وأنه على الأكثر فد أصبح كائناً يأكل ليعيش، أو يعيش ليأكل..!

من هنا يجب أن نتعرف بدايةً على الخصائص المحورية الموجبة الأصيلة للشخصية المصرية الطبيعية، تلك التي حددت هوية المصري، وانعكست على حياته ونشاطه اليومي، ثم نرى في الجزء الثاني من الفصل الحالي كيف أن نظام ما قبل ٢٥ يناير قد اعتدى على هذه المحاور المتميزة وأضر كثيراً بالمنظومة الاجتماعية، فجعلها تعاني الكثير من الظواهر السلبية والاضطرابات النفسية، وفقد الهوية وترهل الشخصية ، في الوقت الذي أرى أن هذا كله قد أعد البيئة والأرض الخصبة التي ازدهر وترعرع فيها الشباب الغاضب أبطال ثورة التغيير المباركة، ثورة ٢٥ يناير، ثورة الكرامة المصرية، التي أعادت الشباب والهوية للمصريين..

أولاً: الخصائص الفطرية الأصيلة في الشخصية المصرية:

إن دراسة شخصية الجماعة، أو المجتمع، أو الدولة، أو القارة أحياناً، قد يكون هدفاً من أهداف البحث العلمي لعلم النفس.. لكن قد يبدوا داخل الوطن الواحد أحياناً أن هناك شخصية مميزة لفئة تختلف عن بقية الفئات .. فنحن في مصر نعطي سمة محورية لشخصية الشرقاوي أو البورسعيدي أو المنوفي أو الصعيدي، كذلك شخصية الطفيلي في الأردن، أو الأيرلندي Irsh في بريطانيا.. وهكذا، وقد يكون ذلك من واقع الرغبة الشعبية – فقط – في الحكم السريع على نمط من البشر، ومن خلال بعض السلوكيات السائدة لديهم، لكنها في معظم الأحيان لا تعطي الحقيقة الموضوعية إلا إذا تم التصنيف من خلال دراسات علمية موضوعية .

من هنا أستعرض نمط الشخصية المصرية من منظور سيكولوجي، كباحث في الدراسات النفسية، ولكوني مواطناً مصرياً تعامل وتفاعل مع جنسيات كثيرة أخرى، ولهذا أنوه من البداية بأن الشخصية المصرية تحمل من الخصائص والسمات ما يجعلها في حالة من التميز مقارنةً بشعوب الأرض جميعاً، وليس هذا من قبيل نزعة عنصرية، ولكن من قبيل توجه موضوعي يقر بأن هذه السمات في مجملها قد شكلت بتميز وعلى نحو واضح النسيج المتماسك للمجتمع المصري عبر التاريخ .

وسوف أسرد وأشرح أهم السمات المحورية الأصيلة في الشخصية المصرية، والتي تجمعت فأعطت هذا التميز الفريد للنسيج الاجتماعي المصري..

توجد خمسة محاور تميز شخصية المصري، وهي:

١. قدرة عقلية مميزة.　　٢. نزعة للتدين فطرية.

٣. ارتباط قوي بالأرض.　　٤. التمركز حول "الكبير"

٥. التجمع في الشدائد، وحول أهداف كبرى.

قدرة عقلية مميزة:

أعني بهذا المحور أن المصري يتميز بقدرة عقلية عامة، ويبدو لديه قدرات عقلية خاصة، أما القدرة العقلية العامة فهي كفاءة عقلية معرفية تتمثل في نسبة ذكاء عالية تجعل المصري ذو فراسة عالية (لماح) لديه مقدرة عالية على فهم انفعالات الآخر وقراءة مشاعره، ذو بصيرة عالية بالذات وبالآخر، سريع البديهة، وقد جعلته هذه السمات متفوقاً في المواقف الإجتماعية، ودود وسهل العشرة مقارنة بالجنسيات الأخرى.

وقد أَهّلَهُ ذكاؤه هذا لأن يكون دائماً محلاً لثقة الآخر، حيث يتلقى الخبرة ويوظفها بسرعة، ولذلك على مر السنين أثبت المهندس المصري والمُعلم المصري، والطبيب المصري والعامل المصري، وأستاذ الجامعة تميزاً في المهام في سوق العمل العربي والدولي.

والمصري صاحب نكتة، فسرعة البديهة قد تفاعلت مع الطلاقة اللفظية والحس الاجتماعي المميز في شخصية المصري وجعلته أكثر

جنسيات الأرض إطلاقًا وتوظيفًا للنكتة، ليسخر بها من الأحداث، ويوظفها في مواقف مماثلة، بل يجعل للنكتة أحياناً صياغات متغددة تتلاءم مع مواقف متعددة، وهو بارع في إلقائها تمثيلاً وطلاقة، والنكتة عند المصري تعبر عن تفريغ نفسي لمكبوتات، وحلاً وقتياً لمشكلاته، وبها يستطيع أن يُطلق رأيه في الحدث دون مواجهة أو مسئولية مباشرة.

ولدى المصري قدرة عقلية خاصة تتعلق بمجال حياتي معين، تؤهله لإبداع أو ابتكار، أو حتى مجرد تفكير ابتكاري في حل المشكلات والتغلب على الصعاب، وليس أدل على توزيع القدرات الخاصة بنسبة عالية بين المصريين أكثر من نجاح وتفوق المصريون في مجالات متعددة وخاصة في الداخل من قديم الزمن وبدءًا من أجدادهم الفراعنة، وحتى الآن أثبت المصريون في جميع أنحاء العالم إبداعاً في الطب وفي علوم الفضاء وفي الأدب والفيزياء والبرمجة المعلوماتية، وذلك هو حال المصري حين يوجد في بيئة ملائمة للإبداع.

نزعة للتدين فطرية:

لاشك أن النزعة للتدين توجد في فطرة الإنسان بطبيعة الحال، فليس هناك فرد أو جماعة، صغيرة أم كبيرة من يوم آدم عليه السلام وحتى الآن إلا وبحثت لنفسها عن إله تعبده، ذلك من منطلق فطرة التوجه إلى طاقة روحية غيبية تفسر للإنسان حياتهِ وما يدور حوله.

والإنسان المصري ذو نزعة فطرية تلقائية إيمانية، ولست أعني بذلك أنه أكثر شعوب العالم صلاتًا وصومًا وتسبيحًا، بل أعني أن هذه النزعة تشكل جميع علاقاته بشئون الحياة ومفرداتها، ففيه سماحة وتوجه

فطري للطهر والتزكي، ولكن هذه النزعة الايجابية انعكست أحياناً في توجهات سلبية جعلت المصري يستسلم للظلم طويلاً من واقع تفسير غير ايجابي للقضاء والقدر، وذلك في فترات مختلفة من حياته!!

ولست أقول جديدًا حين أنوه بقدم النزعة للتدين وعمقها في الشخصية المصرية، فالمصري القديم أول من وصل إلى مفهوم الوحدانية، بل ارتبطت طقوس الموت عنده بالبعث والحياة الآخرة.

والنزعة للتدين أو الإيمان، قد جعلت المصري ذو حياء واضح انعكس في سلوكياته، حيث الحياء هو جوهر الإيمان.

يقول رب العزة في حديثه القدسي:

« الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَوْضَعُهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ »

وبهذا يصبح الحياء هو الشعبة المحورية للشخصية المؤمنة.

وليس الحياء بمعنى الخجل، فالخجل يرتبط به خوف موضوعي غالباً، وإن كان الخجل أحيانا يُعد مظهراً من مظاهر الحياء، لكن الخجل قد يقع موقع الشعور بالنقص عند الإنسان، فقد يتصور الإنسان مثلاً نقصًا في طلاقة لفظية فيخجل أن يظهر أمام الناس متحدثًا في موضوع ما.. لكن الحياء ضابط سلوكي يلازم الإنسان في حياته، فيوجه السلوك عنده نحو السمو والترفع، حفاظًا على ذاته ورجولته وطهارته.. ولذلك يصبح الحياء مظهر الإيمان وترمومتر النزعة للتدين.. وهكذا فإن الحياء يشكل محورًا تلتف حوله مجموعة من السمات الإيجابية تحقق للإنسان

إنسانيته، فيحمل مجموعة من المبادئ التي توجه السلوك نحو العفة والطهارة وتزكية النفس.

وبهذه النزعة للتدين ومحورها الحياء، يميل المصري دائماً إلى الإثابة من خالقه ويخشى عقابه، ونجده أكثر شعوب الأرض احتفاءً بمناسباته الدينية، وينزع إلى ستر الخطأ ولا يباهي به، بل تميل النفس فيه إلى اللوم فيستغفر كثيرًا، غيور على أهله ومقدساته (الحِميَّة) يؤمن بالقدر خيره وشره، بل هذا قد جعله يتحمل الكثير من انتقاص حقوقه ومتحملاً لسنوات القهر، رافعًا مبدأ (النصيب) لينعكس ذلك في مستوى منخفض من الطموح وجمع المال، فلا يهاجر في سبيل المادة أو يغترب إلا للضرورة القصوى (رزق هنا رزق هناك).

من ناحية أخرى فإن استسلام المصري للقدر والميل إلى فلسفته قد جعله يستشعر أمناً ذاتياً تغلب به على سنوات القهر وظلامه وقوة الطبيعة ومناخها فاستمر منتمياً للأرض.

الارتباط القوي بأرض مصر :

أن أكثر الشعوب قاطبةً ارتباطاً بأرضها لدرجة التطرف هو شعب مصر، والمتطلع لخريطة مصر يلاحظ من أول وهلة أن المصري لم يفارق ضفتي النيل منذ أجداده حتى الآن إلا قليلاً لا يذكر.. وظل الفلاح المصري حتى الآن يتمسك بقطعة الأرض الزراعية التي ورثها عن أهله، فهي العرض والشرف، والتفريط فيها يُعد عيبًا للدرجة التى جعلته لا يقبل استبدالها بأضعاف مساحتها في منطقة أخرى، لذلك ظلت أراضي مصر الصالح منها للاستزراع وغير الصالح غير مستغل على النحو

المطلوب، وهذا يمثل سلبية كبرى أعاقت نمو المصري في الداخل، فكأنه يجد الأمن في رائحة الأرض الموروثة..!

ولعل هذا التوجه السالب قد ارتبط بسمة أخرى لدى المصري، وهي سرعة الشعور بالغُربَّة حتى حين ينتقل داخل أرض وطنه، فكان إذا انتقل المصري قديمًا من مدينة بنها –مثلاً –إلى شبرا الخيمة كمسافة لا تتعدى ٥٠ كيلو متر يقسم " وحياة غُربتي. .!" فهو يشعر بالغربة لمجرد فراق منزله أو أسرته لمدة زمنية قصيرة أو طويلة، وكان ذلك دافعاً له على صعوبة انتقاله لمناطق داخلية أو خارجية، وقد يُفسر ذلك بأن المصري قد تعود في أرضه أو بين أسرته على إثبات ذاته، ففيها يشعر بالأمن حيث يقل توتره وقلقه، وبعيداً عنها يضطرب سلوكه حيث يعيش الغربة . وشعور المصري بالأمن بين أسرته يغذيه رضائه بالقليل واليسير، إضافةً إلى اعتزازه بنفسه (هين قرشك ولا تهين نفسك).

ولقد انحسرت هذه الحالة إلى حد كبير الآن نتيجة لظروف ضاغطة اقتصادية وسياسية عبر سنوات ماضية، فخرج المصري إلى خارج الوطن وتنقل قليلاً داخله بحثاً عن مستوى اقتصادي أفضل، لكن رغم ذلك يظل مرتبطًا بحبل سري مع وطنه، يترقب أخباره، ليعيش أفراح الوطن وأطراحه، نصيراً لحق بلاده حيثما يوجد، وقد يصل إلى مواجهات عنيفة مع جنسيات أخرى لمجرد لفظ يجرح مصر أو المصريين من قريب أو بعيد.

التمركز حول " الكبير":

رغم أن المنظومة المصرية في الأصل ليست قائمة على النظام القبلي مثل : شعوب الجزيرة العربية، إلا أن المصري يضطرب سلوكه بعيداً عن أسرته أو عائلته، كما ذكرت سابقاً، وقد يعود ذلك إلى ارتباطه بالأرض ونزعته الإيمانية التي وضعت فيه قيماً أصيلة توجهه نحو التراحم والتواد والتعاطف وسط الجماعة، فيشبع الأمن وسط أسرته، ويشعر بالمكانة وإثبات الذات انتسابأ إلى عائلته وعلاقته بها والدفاع عنها وسط العائلات الأخرى .

إن هذا التوجه لدى المصري قد يكون في رأيي سبب التفاف المصريين دائماً حول "كبير" له السمع والطاعة والمشورة، ومعه وبه يكون الأمن النفسي، حتى أن المثل الشعبي المصري يقول (اللّي ما لوش كبير يعمله كبير) ولم يكن الكبير كبير منصب أو جاه، ولم يكن مصنوعاً، بل كانت تصنعه قيمه وسلوكياته الاجتماعية القوية، كانت تفرضه أخلاقه الجميلة التي تتمركز في التعاطف والإيثار وحب الناس، فيتزايد الاتجاه الموجب نحوه من الناس شيئًا فشيئًا حتى يصبح له كلمة مسموعة بين الجماعة، وخاصة في القرية المصرية، حتى أن عمدة القرية كان يحيل إليه المشكلات المعقدة بين الناس، ذلك من منطلق مكانته وقربه منهم..

التجمع في الشدائد وحول الأهداف الكِبرى:

لعل نزعة المصري الإيمانية وارتباطه بأرضه المصرية، وشعوره بالأمن حول كبير العائلة أو القرية، قد أوجد لديه انتماءً دفيناً، والذى قد يفقد التعبير عنه نتيجة لإحباطات وقهر واستبداد، ولكن سرعان

ما ينهض هذا الانتماء في شدائد تمر بها العائلة أو القرية أو المجتمع، فيضحي ويتعاطف ويتصدى ويكافح دون هوادة.

ونتيجة لاستمرار الإحباط وعدم إثبات الذات، يستمر الانتماء كامناً، ولهذا يستلزم لتفعيل طاقات المصري أن يوضع أمام تحديات قومية، في الوقت الذي يشعر فيه بالمصداقية والممارسة المخلصة.

ودليلي على ذلك أن ما يتعلق بأرض مصر وترابها لدى المصري لا يعد إلا من الأمور الجادة، فلا يتهاون فيه أو في أمنه القومي، فعندها تتوحد المشاعر وتنطلق المواجهات والطاقات.

ففي حرب ١٩٧٣ المباركة لم نجد إلا وحدة قومية ووطنية عالية، لا تمييز فيها بين مسيحي ومسلم وبين فلاح ومتعلم، فلقد كانت مواجهة تكاملية تفاعلية عظيمة وحدت نسيج المجتمع.

وهكذا يكون التجمع في الشدائد، وفي التحديات الكبرى، الذي مازال التعبير عنه – إلى حد ما – في الأفراح والأطراح داخل القرية المصرية بالذات، والذي قد يصل أحيانا إلى درجة التعصب للعائلة أو الدائرة الانتخابية.

إن الفرحة العارمة للمصري بانتصار بلده ولو في مباراة رياضية على فريق لبلد آخر تجعلني أقول.. آه لو أن هناك ثقة ومصداقية عند هذا الشعب في من يقود مباراة صناعية أو زراعية أو تكنولوجية لكانت فرحة مصر طويلة المدى.

هذه هي محاور الأصالة في سمات الشخصية المصرية، والتي صنعت نسيجاً اجتماعياً مصرياً مميزاً عبر التاريخ، والذي كان يمكن أن يُستغل ويُوظف ايجابياً – على أى مستوى – من قياداته ..الأمر الذي لم

بحدث للأسف الشديد، فبدلاً من ذلك، تم اختراق هذا النسيج القوي، حيث ظهرت عليه أعراض مرضية أصابته بشدة، ليصبح المجتمع المصري بيئة خصبة للعنف، ثم بيئة دافعة لثورة الكرامة..

ثانياً: اعتداء النظام على الشخصية والهوية المصرية:

بدايةً، ومن خلال توضيح السمات المتأصلة في النفس المصرية، السابق عرضها، يجب أن أؤكد على الحقائق الآتية :

١. أن النسيج الاجتماعي المصري مهما تعددت أطيافه، هو في الأصل مترابط، وهذا الترابط قائم على أسس دينية وتاريخية واجتماعية قوية ومميزة .
٢. أن السمات المحورية للنفس المصرية ليس فيها أبداً ما يؤدي إلى التمييز بين مسيحي ومسلم، بل إن الشخصية المصرية قد أذابت في بوتقتها جنسيات وديانات أخرى عاشت في مصر عبر أزمنة متتالية .
٣. أن هذه المحاور في تفاعلها قد سمحت بسمات ايجابية فرعية للشخصية المصرية، مثل : الصدق والتسامح والتعاون والتعاطف والانتماء..وعاش في ظل هذه السمات المسيحي والمسلم واليهودي ..فكان نسيج المجتمع المصري يتميز بالتناسق والتكامل والائتلاف .

ولكن – للأسف – تم اختراق نسيج المجتمع المصري وتفتيت بنيته المتماسكة عبر سنوات الحكم في مصر، وبالتدريج ابتداءً من عام ١٩٥٢ على وجه الخصوص، وسادت بعض الخصائص السلبية الجديدة في الشخصية المصرية : فأصبح الكثير من الشعب –أخيراً–يكذب وينافق ويكبت ويخاف ويتمركز حول ذاته ولا يتعاطف أو يتسامح، إلى أن ساد

العنف بكل صوره في المجتمع، سواء أكان عنفاً بين أفـــراد المجتمـــع أم عنفاً ذاتياً، تمثل في زيادة حالات الانتحار وحالات إشـــعال المصـــريين الثأر في أنفسهم، وكان ذلك نتيجة الكثير من السياسات والممارسات فـــي العشر سنوات الأخيرة من حكم جبابرة الحزب الوطني، والتي تطـــورت إلى اعتداء مباشر على كرامة الشخصية المصرية وهويتها..

أذكر من هذه السياسات وتلك الممارسات، الآتي :

- بدلاً من توظيف الحكومات المصرية للطاقة العقلية للمصـــري فـــي التقدم – على نحو ما – تم قهر هذه الطاقة بتعاظم المشكلات اليومية للمواطن، وقهر إرادته.
- وبدلاً من حرص الدولة على إلزامية التعليم وضرورة وصوله- ولو في مستوى الحد الأدنى – إلى جميع أفراد الشعب، ازداد التســـرب من التعليم وزادت الأمية التعليمية، بل تم استخدام آليات متعددة – لا يتسع المقام هنا لمناقشتها – عملت على تســـطيح العقـــل المصـــري وانخفاض المستوى الثقافى بين أفراد المجتمع ..
- ونتيجة عدم توفر البيئة للإبداع هاجرت العقول المصرية إلى الخارج .. وهاجر – أيضاً – ذوي الرأى المستنير نتيجة القهـــر ومصـــادرة الرأى في أعقاب حركة ١٩٥٢.
- وفي أواخر الستينيات تقريباً – بحجة شعارات أطلقها القادة وأهداف مغلوطة – تم القضاء على ما أسموه بهتاناً "رأسمالية غيـــر وطنيـــة" أو"إقطاع" وكان الهدف الحقيقي هو التخلص من الكبار الاجتماعيين، والذين كانوا يمثلون ركائز التماسك والأخلاق الحميدة في المجتمعات

الريفية بالذات، فاضطربت العلاقات الإنسانية، وظهرت طبقة الرأسماليين الذين صنعتهم السلطة، ليصبحوا كباراً بالمال لا بالأخلاق، وفرضوا سلطان المال على الشعب، ونشروا قيماً ومبادئ فاسدة أضرت كثيراً بالبنية الاجتماعية، فاستجدت بعض الخصائص والسمات السلبية، والتى حاول عن طريقها أن يدافع المصري عن اضطرابه النفسي..ومنها الكذب وعدم التسامح والإسقاط والعدوان والكبت والتبرير السالب والانسحابية..!

- وتم استغلال السمة المحورية في الشخصية المصرية وهى " التمركز حول الكبير"، فجعلوها مبرراً لتنصيب بعض القادة المصريين أنفسهم آباءً للشعب المصري، وبدلاً من أن يكون قائداً سياسياً يُسأل عما يفعل ويُحاسب بما قدم، أصبح أباً للشعب، وهو كبير العائلة المصرية، يأمر فيطاع ويقول فيسمع، ولا يرفع أمامه صوتاً، وإلا يصبح الشعب، أقصد الأبناء عاقين لأبيهم..!
- وبدلاً من النزعة للوسطية في التدين والسلوك، تلك التي كانت تميز المجتمع المصري، مال البعض في المجتمع إلى التشدد والتنطع، نتيجة أفكار مستوردة أتى بها المصري من دول الخليج، حيث اضطرته حكوماته إلى ترك وطنه بحثاً عن لقمة العيش، ونتيجة للسياسات الداخلية في الستينيات تلك التي تسببت في زيادة شوكة بعض الجماعات المتأسلمة داخل الوطن ..
- وانحسر التفوق للمصري أو أختزل في مجالات الحياة المختلفة داخل البلاد، نتيجة لنظام التعليم المتردي، من المرحلة الابتدائية

وحتى الجامعة، وازداد عدم الاهتمام بالبحث العلمي بالقدر الذي يؤهل إلى إنتاج علمي أصيل أو تحدياً قومياً..

- واستمر الانخفاض التدريجي في دخل المواطن، حتى أصبح لا يكفل له حياة كريمة، وحيث عدم إشباع الإنسان المصري لأمن معيشي وصحي واقتصادي ونفسي، وبالتالي نقص انتماؤه، فاضطرب إثبات ذاته وتأكيدها، وتفاقمت نسبة العنوسة والطلاق بين الشباب، وازدادت بصورة مخيفة الأمراض وتنوعت صورها.
- وظلت مصر طويلاً تتطلع إلى وضع شعبها في تحديات قومية تقدمية كبرى تشبع بها أمنها وانتمائها وإثبات ذاتها، حيث لدى هذا الشعب إرادة التجمع في الشدائد والصعاب والتحديات الكبرى، ولم يحدث ذلك طوال ستون عاماً تقريباً إلا مرات معدودة، كان آخرها حرب أكتوبر العظيمة..لتسود التفاهات، ومهرجانات النفاق، والإبداع في الرقص والأغاني الهابطة والأفلام على وزن فيلم "أحاسيس" ..ولتظل الدنيا وردية، فلا نحس بما حولنا أو نشعر بأى دواعي للتقدم..
- ولم يمر أبداً على الشعب المصري انتخابات واحدة غير مزورة يجد فيها ذاته، أو حتى لمجرد أن يشعر بوجوده الحيوى، إلى أن جاءت انتخابات مجلس الشعب في ٢٠١٠ ليتم تزويرها بتبجح وغباء، حين ذلك أدرك الشعب أن الأمل مفقود، خاصة أن رئيس الجمهورية بنفسه قد وعد الشعب وتعهد بنزاهة هذه الانتخابات .. وهنا شعر الشعب بالمهانة، وأدرك أن مجلس الشعب هذا قد أعد لنقل السلطة إلى جمال مبارك، وهذا ما ترفضه الأغلبية الشعبية العظمى..

- ورغم أن مهمة الشرطة تنحصر فى ثلاثة مجالات مهمة، هى: المال والعرض والفرد، فتعمل على حمايتهم وتأمينهم .. إلا أن الشرطة فى عهد الحزب الوطنى أصبحت بعيدة إلى حد كبير جداً عن هذه المجالات ، فقد أصبحت مهمتها تنحصر فى تحقيق الأمن للسلطة والنظام .. فمن قمع المظاهرات إلى اعتقال المعارضين وذوى الرأى الحر، إضافةٍ إلى المهمة الاستخبارية، وما أطلقوا عليه أجهزة أمن الدولة، والذى يتمحور كل نشاطه فى أمن النظام ومناهضة الشرفاء والأكفاء.. وبحجة أمن الدولة تدخلت الشرطة فى سياسات التعليم وبرمجته بما يروق لأهدافها، وفرضت رأيها فى المؤسسات والجامعات والوظائف على اختلاف صورها ، حتى تختار أهل الثقة، وليس أهل الخبرة والكفاءة ، فأهل الخبرة دائماً يكونوا من ذوى الرأى وذوى الشخصيات المتماسكة الفعالة، وهذا مالا يروق لجهاز الأمن .

واستخدمت الشرطة، فزاعة للشعب، تمثلت فى الخطر الوهمي للإخوان المسلمين، وبهذه الحجة ، زورت الانتخابات وروعت القوي السياسية، وصادرت الرأى فى الجامعات، وحولت اتحاد الطلاب إلى مجرد هياكل من طلاب لا حول لهم ولا قوة، فمنعت النشاط السياسي فى الجامعة، وجمدت عمل النقابات ونوادي أعضاء هيئة التدريس ..

واطمأن النظام إلى ترسانة الشرطة ، والذين فاق عددهم عدد القوات المسلحة، وفاقت ميزانيتها ميزانية، الصحة والتعليم .. وكل هذا أدى إلى علاقة سلبية بين الشعب وجهاز الأمن .. مما أثر كثيراً فى المنظومة الاجتماعية .. حيث شعور المواطن بالمهانة، وسلب شعوره بالكرامة والعزة ..

- وانتشرت في المجتمع الفتاوى المتطرفة ، وسمح لكل إنسان غير متخصص لنفسه بالفتوى، وذلك فى الحال الذى غاب فيه المتخصصون وغابت الرقابة الصارمة من المؤسسة الدينية، وأصبح يُعرض على الناس فى وسائل الإعلام موضوعات تخدش الأخلاق والقيم فى البيوت، دون حياء يَحُد من هذا أو حتى أدنى مسئولية من المختصين.
- وأصبح الإبداع والابتكار فى بلدى ليس له علاقة بالعلم ، بل هو فى الرقص أو على الأكثر في الإنتاج والتمثيل وكتابة السيناريو .. واختفى الحياء كضابط سلوكى بين الشباب ، ليظهر الشاب مرتدياً بدلة الرقص النسائية ليرقص فى الأفراح والليالى الملاح، إضافةً إلى سلوكيات أخرى اختلطت فيها الذكورة بالأنوثة، والرجولة بالذكورة، وكان ذلك من نتائج عدم استطاعة الشاب إثبات ذاته في المجالات الطبيعية..

بهذا نجحت أنظمة الحكم في مصر – خاصة في الثلاثين عاماً الأخيرة من حكم جهابذة الحزب الوطني – وعبر ممارسات عبقرية أن تفتت البنية الاجتماعية وتقزم الطبقة الوسطى في المجتمع، تلك التى تمثل رمانة الميزان الاجتماعي والسياسي والأخلاقي، فاختل توازن المجتمع، واضطربت هوية المصري وضعف انتماءه، ليصبح المجتمع عرضة للأمراض وبيئة خصبة للإرهاب والعنف الأسود، ويصبح أيضاً– بإرادة الله تعالى – هو نفسه في ٢٥ من يناير دافعاً للانفجار الثوري الإصلاحي، كما سنعرض ذلك في الفصل القادم...

الفصل الثاني

الأسباب المحددة لثورة الكرامة

- غموض السياسات والممارسات الحكومية وعدم منطقيتها .
- حلم الشعب المتجدد في العدالة والديمقراطية .
- إهدار كرامة المصري ووصوله إلى الشعور بالاستئصال.
- كسر حاجز الخوف الذي عانى منه الشعب طويلاً.

إن السياسات غير الواعية التي مارستها حكومات ما بعد حركة ١٩٥٢ بصفة عامة، وحكومات الحزب الوطني، بصفة خاصة، قد افتقدت الرؤية السياسية التقدمية أو حتى الرؤية المجتمعية، فغابت عنها القدرة على توظيف طاقات وخصائص المجتمع المصري الايجابية، واخترقت النسيج المصري المتماسك، وازداد هذا الاختراق السالب في العشرين عاماً الماضية، وازداد تبلد الحكومات ورفضها غير المبرر لأى مشورة تقدمية، وعدم الاستماع إلا إلى نداء التخلف من داخل منظومتها المريضة، وازداد الفقير فقراً والغنى غنىً، وتردت السياسات التعليمية والاقتصادية والخارجية، والصناعية، والزراعية .

ولكى أكون أكثر تحديداً، فسوف أتناول بالشرح العوامل التي أدت إلى ثورة الكرامة، والتي تتضمن أبعاداً نفسية واجتماعية وسياسية، تتلخص في :

- غموض السياسات والممارسات الحكومية وعدم منطقيتها .
- حلم الشعب المتجدد في العدالة والديمقراطية .
- المساس بكرامة المواطن ووصوله إلى حالة الشعور بالاستئصال .
- كسر حاجز الخوف الذي عانى منه الشعب طويلاً.

أولاً: غموض السياسات والممارسات الحكومية وعدم منطقيتها:

ظهرت هذه السياسات والممارسات غير المبررة، وغير المنطقية في السنوات الأخيرة، وبالتحديد منذ عام ١٩٩٩، وقد امتدت وتعاظمت في غموضها للدرجة التي وقف أمامها المواطن عاجزاً عن تفسيرها، وأصبح لا يراها المواطن إلا في إطار تفسيري يدور حول عدة محاور،

منها : " البلد بتتباع" أو " مقدمات التوريـــث " أو " تعليمـــات أجنبيـــة " وهكذا ...عاش المواطن غموضاً تلو غموض ..وتناقضاً بعد آخر، وكل هذا يتناقض مع كون المصري بطبيعته شخصاً لا يتسامح مع الغموض .

ونستعرض فيما يلي بعضاً من دلالات هذه السياسات :

- أصبح المواطن المصري لا يعرف سبباً أو مبرراً لاستيلاء أشخاص وفئات معينة على أرضه، زراعية كانت أم غير زراعية ..
- أصبح المواطن المصري لا يعرف سبباً، لعـــدم اكتـــراث حكومـــات متوالية لمطالبه البسيطة، بل تم التعامل معه بدون احترام لعقله ودون تقدير لآرائه.
- أصبح المواطن المصري لا يعرف سبباً لبيع أرضه وعلـــى حـــدود الوطن لأناس ليس لهم هوية محددة .. ولا يستطيع التنبؤ بمصـــيرها معهم ..
- أصبح المواطن المصري لا يجد فى الأحزاب وعلى رأسها الحـــزب الحاكم سوي مسرحية هزلية يؤدى الممثلـــون فيهـــا الأدوار بطـــرق متعددة، وصلت إلى حد الملل .. والساحة لا يلعب فيها سوى حـــزب واحد يعمل دائماً فى ظل أحزاب ضعيفة أو كرتونية ، ولا يتمنى لهـــا الحزب الحاكم إلا الضعف والهوان، فليس لدى الحزب الحاكم قابليـــة لما يسمى معارضة أو تعدد آراء ...
- أصبحت الانتخابات فى مصر ليســـت ســـوي شـــكلاً دون جـــوهر، فالحزب الوطنى لا يهمه إلا أن يحصّد المقاعد ، ولا يهمه إلا المقعـــد

دون النظر إلى الشخص الذى يحتل المقعد، حتى وصلنا إلى مجلس للشعب بدون معارضة ..

- ليس هناك تفسير حتى الآن لعدم تعمير سيناء، وعبر ثلاثين عاماً تم بناء بعض القرى السياحية فقط للأسف، تلك التي لا تحمي الأرض، في الحين الذي كان من الممكن أن تكون سيناء مسرحاً للزراعة والصناعة ومصدراً لكل خيرات مصر ..
- بعد أن تفاقمت أحداث العنف فى المجتمع لم يرى الشعب من الحكومة تعبيراً أو إجراءً يدل على رؤية جديدة أو سياسات جديدة .. بل ظلت الحكومة على سكونها واستقرارها وغموضها.. !!
- سياسات في التعليم لا تؤدي إلا إلى مزيد من الفشل والتردي، مع أن سبل التطوير واضحة، وكأن الحكومات على اختلافها لا تريد إصلاحاً بل تتعمد تجهيل هذا الشعب ..
- سياسات لا تدل إلا على احتكار للسلطة، واحتكار للوطن، وكأن هذا الوطن ما هو إلا مستعمرة للحكومة وطغاة الحزب الحاكم، أو عزبة يملكها هذا الحزب، فهو المالك الوحيد لأرضها وخيراتها، بل ربما في يده أن يفرغ مصر من بقية الشعب الذي لا ينتمي إلى الحزب الحاكم بأمره ..

ثانياً: حلم الشعب المتجدد في العدالة والديمقراطية:

كاد أن يفقد الشعب المصري حُلمه ، ذلك الحُلم الذى بدأ مع يوليو ١٩٥٢ولم يتحقق حتى ٢٥ من يناير.. حُلم العدالة الاجتماعية والحياة الديمقراطية السليمة .. فى الوقت الذى تحقق فيه هذا الحلم لشعوب كثيرة

كانت تُحسب ضمن دول العالم الثالث، وأهمها ماليزيا، تلك التى كانت مصر تمدها إلى وقت قريب بمعونات ومساعدات ..والى أن جاء الوقت الذى تراجعت فيه قيمة ومكانة مصر بين هذه الدول ..

فقد عاش الشعب الحلم على مدى سنوات وسنوات ... وهو يجري وراء سيارات القادة والزعماء ، مصفقاً وهاتفاً ومغنياً للوطنية وأبطالها ، وتجرع الصبر كأساً بعد كأس، وتعاطى مُسكنات تلوّ مسكنات، تمثلت فى وعود وقرارات وقتية وخططية ذهبت هباءً ودون أن تأتي بأى حلول ... إلى أن أتُهم الشعب أخيراً بأنه شعب لا يتحمل جرعة كبيرة من الديمقراطية ..!!

ووصل الأمر بغياب العدالة الاجتماعية في الثلاثين عاماً الأخيرة إلى حد التمييز الطبقي بين طوائف متعددة من الشعب ، كالتمييز فى الخدمات بين غنى وفقير، والتمييز فى التعليم (تعليم لفقير وتعليم لغنى)، وتمييز بين المهن المتعددة فى المرتبات والدخول، بل فى احتلال لوظائف معينة ، بل أصبحت الأنباء تطالعنا يومياً عن شباب ينتحر لعدم قبوله (غير المبرر) فى وظائف معينة، فضلاً عن البطالة القاتلة التى تدفع بالكثيرين من شبابنا إلى الانتحار المتعمد أو الانتحار عبر البحار فى محاولة البحث عن جنة أوروبا ..

وهناك التمييز بين أفراد المجتمع فى احتلال مواقع القيادة لمؤسسات المجتمع المختلفة ، والتى يتم الاختيار لها بأيّ معيار بعيداً عن الكفاءة، الأمر الذى أدى إلى ضعف المؤسسات وانتشار الفساد، حتى فى مؤسسات التعليم المختلفة ، وبالذات في الجامعات، وأصبح القانون في

البلد لا يسعف صاحب الحق في الحصول على حقه، وتباطأ القضاء إلى الدرجة التي اتجه فيها المواطن إلى محاولة الحصول على الحق بـالقوة، فأزداد العنف، بل إن هذا الحال قد ازداد في ظله حوادث الثأر..

وسادت طبقة من الأثرياء تمثل ١٠: ٢٠ % من أفراد المجتمع تسمى تارة رجال أعمال وتارة أخرى تسمى رأسمالية وطنية، ومصادر أموال بعضهم تحوم حولها الشبهات، وإعلاناتهم تبرز في صفحات الجرائد اليومية، إضافة إلى حفلاتهم متعددة الصور، والتي يصرف فيها ببذخ، حتى أصبحت الدراما من أفلام ومسلسلات كل أبطالها من رجال أعمال فاسدين، وكل ذلك يحدث من طبقة قليلة تملك المال في مقابل طبقة فقيرة كادحة تمثل ٨٠: ٩٠ % في المجتمع، وكان هذا كفيلاً بـأن يدفع بهذه الفئة – إلا ما رحم ربي– إلى أساليب العنف المختلفة.

ثالثاً: إهدار كرامة المواطن ووصوله إلى انفعال الاستئصال:

وصل المواطن إلى حالة التبرم والتقزز واليأس مما يحدث، بل وصل إلى الشعور بالتهميش والعجز وإهدار الكرامة، وخاصةً بعد انتخابات مجلس الشعب الأخيرة، التي قامت على التزوير الفاضح، وأصبح المخرجون لهذه المسرحية الهزلية من متخلفي الحزب الحاكم يتطاولون على الشعب سخريةً وتندراً، وكأن شعب مصر من الرعاع أو المتخلفين، في الحين الذي يصفون أنفسهم بالتفوق والإبداع والمرغوبية المزعومة، وبتراكم هذه الخبرة الإنسانية المؤلمة لدى المواطن، وعدم وجود أمل فى الوصول إلى إنفراجة وحلول، أصبح المواطن يشعر بأنه ليس جزءاً من هذا الوطن، وكأن هؤلاء الأباطرة يستأصلونه من

أرضه.. من مصره الغالية، مصر التى تعيش داخله.. وأصبح المـواطن فاقداً لحق المواطنة، وتساوي في هذا عنصرى الأمـة، المسـيحي مـع المسلم، فلم يفرق هذا الوضع بين أحد منهم، فوصـل المصـريون إلـى الانفعال المدمر، وهو الشعور بالقرْف أو الاستئصال uprooting...

ويعنى تعبير القرْف فى اللغة سقوط غلاف الشجرة أو لحائها بعـد موته ، أو نزع القشرة عن ثمرتها، ويُقال (كما فى مختار الصحاح) قَرف فلاناً قرفاً، أيّ عابه ، ويُقال اتهمه بالذنب..وفى حـديث الخـوارج "إذا رأيتموهم فاقرفوهم واقتلوهم" أى استأصلوهم..

وفى التراث السيكولوجى – خاصة فى مجال الصحة النفسـية – نجد مصطلح الشعور بالقرف (بفتح الراء) ويقابله فى اللغة الأجنبية تعبير Disgust، معبراً عن حالات الوسواس القهرى .. الذى يصاحبه أفعـال قسرية أو قهرية، تلك التى تنتج عن اضـطرابات الفوبيـا Phobic .. Anxiety Disorders

لكنى هنا أتحدث عن انفعال القرْف، ذلك الذى يتكون ويستثار عبر خبرة شعورية اجتماعية وسياسية، نتيجة سلوكيات وسياسات مسـتهجنة اجتماعياً وسياسياً، مثل: سيادة النفاق والخيانة والتفرقة الطبقية والتمييـز السالب (متعدد الصورّ) بين أفراد وطوائف المجتمع ..

إن المواطن حين يتمكن منه هـذا الاضـطراب، أى اضـطراب الانفصال أو الاقتلاع أو الاستئصال أو القرْف، فإنه يصبح فاقداً للانتماء، ويصبح مضطرب الهوية، فاقداً الطريق الصحيح لتأكيد ذاته وتحقيقهـا، من هنا يصبح المواطن مهيئاً إما للفساد، والغش، والتـدليس، والخيانـة،

والتطرف، والانحراف السلوكي ومعاداة المجتمع ..وهذا جدير بأن يهيئ البيئة الصالحة للعنف الصلَف، أي الذى يتجاوز حدود المكان والزمان والقيمّ والأعراف ومصالح الوطن، أو يجعله مضحياً حتى بحياته في سبيل أن يغير أو يصلح من نفسه أو من المجتمع، وهذا هو الحال الذي كان عليه أبطال ٢٥ من يناير، زعماء ثورة الكرامة الأطهار..

وليس المقصود بالقرْف كحالة شعورية وصفاً لحالة حسية أو فيزيقية، مثل حال الإنسان حين يشم رائحة كريهة أو تقع عينه على منظر مقزز، لكن الشعور بالقرْف هو حالة من الاضطراب النفسي يعيشها المواطن نتيجة لتفاعله مع أنماط سلوكية لا معقولة متكررة تحدث في المجتمع ، فتؤدي به إلى حالة من الغضب والاشمئزاز والغيظ واليأس والعجز، فيشعر وكأنه – أمام ما يحدث في المجتمع – عاجزاً عن أن يغير فيما يحدث حوله ، عاجزاً عن الوقوف أمام التجاوز في المبادئ والقيم التي تناهض ما يتبناه.

من هنا أقول : أن الشعور بالقرْف أو الاستئصال هو محصلة لمجموعة من الانفعالات الحبيسة داخل صدر الإنسان المعاصر، يغذيها العجز وفقد الحماس أمام مهرجانات النفاق وسيادة قانون المصلحة الخاصة وإحلال الشذوذ محل الفضيلة واللامعقول محل المنطقي، والتناقض محل التناسق، والعبث محل النظام والتخطيط، والتمييز بين أطياف الأمة بدلاً من سيادة العدالة وترسيخ مبادئ المواطنة.

إن مثل هذه الظواهر السلوكية التي تميز بها عصرنا الحاضر في دولنا العربية ومصرنا الحبيبة بالذات، تمثل مصادر الشعور بالقرْف أو

الاستئصال الذي يعيشه إنسان اليوم ، خاصة حين لا يبـدو أمـام هـذا الإنسان حلولاً مطروحة.

والشعور بالقرْف هو انفعال مركب له تداعيات تصل بالإنسان إلى قمة العنف ، التي تصبح مسببات لشعور آخرين بالقرْف ..

الشعور بالاستئصال إذن هو خبرة وتجربة ذاتية للإنسان، وهـي خبرة واقعية مدركة، وهذه الخبرة يمثلها الفرق بين الواقع الـذي عليـه مجتمع هذا المواطن والمستوي الذي يطمـح هـذا المـواطن أن يكـون المجتمع عليه ، معني ذلك أن ثقافة المجتمع وأهدافـه تـؤثر فـي هـذا التوجه، وكذلك أسلوب تربية الإنسان وسماته شخصيته.

والشعور بالقرْف أو الاستئصال هو حالة شعورية ذاتية واقعيـة، بمعني أن المواطن يعيشها على مستوي الوعي، نتيجة تفاعله مع مفردات مجتمعه، وقد يردد" أنا قرفان" كرد فعل صادق على الأسباب التـي أدت به إلى ذلك، أو" أنا أشعر أن هذه البلد ليست بلدي "، وهو يعـي الـنمط السلوكي الشاذ في المجتمع الذي أوصله إلى هذه الحالة، متمـثلاً علـى سبيل المثال : في سيادة التفاهة أو اللانظامية، أو المحسوبية أو الغش أو التدليس، وهو علي وعي أيضاً بالسبيل إلى التغييـر والإصـلاح، لكنـه يشعر بالعجز، فإذا استطاع الفرد أن يظل على هذا الحال أي في حالـة مجاهدة للشعور بالقرْف- كما سنفصل ذلك لاحقاً- كان ذلك يمثل الجانب الإيجابي للشعور بالقرْف ، حيث استمرار تفاعل الإنسان مـع مجتمعـه واستمرار الطاقة الحيوية فيه ، تلك التي تجعله أكثر تماسكاً وتوافقاً.

أما إذا وقع الإنسان صريعاً للتداعيات المؤسفة للشعور بـالقرْف، فإن أقل ما يقال من تداعيات : أن الإنسان يصل إلى الانسحابية المتدرجة وموت الطاقة داخله ، والقنوط وفقد التمييز، ومن ثم يرتكب سلوكيات العنف الأسود.

أيضاً، ليس الشعور بالقرْف هو نتيجة حكم للإنسان أو إدراك قبلي Preconception يتعلق بموقف أو نظام أو سلوك مجتمعي معين، لكنه خبرة شعورية ذاتية تراكمية مع مواقف ممتدة ونظم سلبية مستمرة.

إذاً الشعور بالقرْف أو الاستئصال ليس نتيجة حكم على موقف طارئ أو نتيجة إحباط أو غضب يحدث نتيجة ظروف حياتية مستجدة تطرأ على حياة الإنسان تجعله لا يصل إلى هدف شخصي معين ، لكنه ينتج عن اللامعقول واللامنطقي من أمور تمثل أنماطاً سلوكية سيئة متكررة في المجتمع، والتي قد تدفع هذا الإنسان – قهراً – لأن ينافق ويمدح أقزاماً في القدرات العقلية من المسيطرين على توجهات مجتمعية أو سياسية معينة.

وأخيراً، ليس الشعور بـالقرْف أو الاستئصال مجرد شعور بالاشمئزاز أو الاستياء أو التبرم ، ولكنه محصلة تفاعل عدة انفعالات حبيسة في صدر الإنسان ووجدانه، هي : الغضب والاشمئزاز والحزن والخوف ثم اليأس والعجز.

وبناءً على ذلك فالشعور بالقرْف هو انفعال حاد يصل إليه الإنسان نتيجة تجاوزات سائدة في المجتمع تتجاوز مبادئه وتوجهاته، لأنها تتعدى حدود المنطق والمعقول. فحينما تسوء منظومة القيم والأخلاق والنظم

السياسية والتعليمية في المجتمع، فإنها تكون قد تعدت على المنطق والمُثل والأخلاق النبيلة، وهذا في حد ذاته يمثل عنفًا واقعًا على المجتمع يقود إلى عنف شعبي.

من ناحية أخرى، فإن وصول الإنسان إلى انفعال الشعور بالقرْف الحاد، ومع سمات شخصية معينة، فإنه يتوجه إما إلى مزيد من مجاهدة النفس والتعايش مع هذه الحالة ويحدث هذا بقدر مستوي المدد الروحي داخله، وإما أن يؤدي به إلى أن يكون طرفًا في دائرة من العنف الأسود، حيث يرتكب هو ذاته سلوكيات لا منطقية ولا إنسانية تتمثل في أحداث القتل والشذوذ على اختلاف صوره، أو الاعتداء الذي يرتكبه الإنسان على ذاته منتحراً.

رابعاً: كسر حاجز الخوف الذي عانى منه الشعب طويلاً:

إن العوامل السابقة، ومع وصول المصري لانفعال القرف أو الاستئصال كانت كفيلة في تفاعلها مع السمات الأصيلة للشخصية المصرية بأن يهدم المصري حاجز خوفه، ليتقدم في بركان ثائر معلناً عن غضبه وليثبت ذاته التي كاد أن يفقدها كاملاً، ولا نستطيع إنكار تأثر المصريين بحركات التحرر المحيطة في القفز فوق مشاعر الخوف - وخاصة انتفاضة الشعب التونسي العربي الذي ثار على الطاغية زين العابدين بن علي فتنسم رياح الحرية -..لكن الفضل كل الفضل يعود إلى شباب مصر العظيم، فهو الذي أعطانا الدرس الحضاري الذي لن ينساه التاريخ، هم الذين بدأوا بكسر حاجز الخوف داخلهم، وانتقلت العدوى

اللذيذة إلى بقية طوائف الشعب، هم الذين علمونا أن نثق فيهم ولا نفقد الثقة أبداً في الشباب المصري مهما طالت سنوات الصمت والسكون .

لقد تجمع هؤلاء الفتية عبر الانترنت في مجموعات عبر الأيام والشهور، ومن خلال عالم افتراضي يحلم بالعدالة والديمقراطية، فتحول الحلم معهم إلى حقيقة واقعية، وكان لهذا العمل الرائع بروفات متعددة سابقاً، ولكن عقلية النظام الغبي لم نستطع استيعابها، ومن عالم افتراضي تحركوا إلى شوارع ومدن مصر المحروسة، ثم من ميدان التحرير بقاهرة المعز إلى أذن النظام، ولأن الأذن كانت غير واعية، ازداد نداء الحرية والكرامة من أفواه هؤلاء الشباب الأحرار حتى اخترقت أذن المتعجرفين من قيادات ما سمى حزب وطني ديمقراطي، والذي لم يحمل في ممارساته أو مسيرته من اسمه شيئاً ..

وحاول فلول النظام إجهاض الثورة، حاولوا أن يقللوا من شأن وقيمة الشباب ونداءاتهم، ولم تفلح محاولاتهم، ثم استخدم أمن النظام البلطجية، الذين تعودوا أن يستخدموهم في تفريغ انتخابات المجالس النيابية من مضمونها، وأنزلوهم وسط الشباب المرابط في الميادين ليفتعلوا المشاجرات ويتفرق الجمع المبارك، لكنهم فشلوا أيضاً..حتى وصل المسئولون عن المؤسسة الأمنية إلى حد التفريط في مسئولياتهم المهنية ، حين أُمرت أفراد الشرطة بجميع طوائفها – بأسلوب مباشر أو غير مباشر - أن تنسحب من شوارع وميادين القاهرة وكل الجمهورية، واستمرت البلاد في فراغ أمني حتى نزول أفراد القوات المسلحة ، مما أدى إلى انتشار البلطجية ورواد العنف داخل المجتمع ينهبون ويروعون

المواطنين، وفقدنا الكثير من أرواح أبطال الثورة الأحرار، هذه الأرواح الطاهرة الشريفة التي صعدت عند بارئها شهداء عند ربهم يرزقون.

وأستطيع القول – وأنا أكتب هذه السطور في اليوم السابع لقيام الثورة – أن محاولات النظام الأمني البائد قد باءت بالفشل، وانطلقت رياح التغيير بعد الركود والتبلد الذي أسماه الحزب الحاكم الفاشل بالاستقرار.. حمى الله بقدرته أرض مصر المحروسة وشعبها ..

وظهر الشباب المصري في أروع صورة، وعادت مصر مرة أخرى صبية، شابة، جميلة، لتحدد هويتها التي عرفها بها العالم، وصمم شباب مصر على أن يستعيد ثقته بنفسه .. ولعبت السمة المحورية في النفس المصرية دورها، واستنهضت قيمها، حيث التعاون والتعاضد في الشدائد وحول الأهداف الكبرى، فقام الشباب المصري في كل مدن مصر وشوارعها وقراها تلقائياً بتشكيل جماعات شعبية تطارد فلول البلطجية وتسلمهم إلى أفراد القوات المسلحة المصرية، وتعاضد الشعب معاً في مقاومة الهاربين من السجون، في تنسيق بديع مع المجموعات الشعبية والقوات المسلحة ...وأستعاد نسيج المجتمع المصري تماسكه وخصائصه وهويته الأصيلة .....

الفصل الثالث

المراحل النفسية التي فجرت الثورة
وآثار ما بعد الصدمة

- الخطر الذي داهم السلام الاجتماعي قبل الثورة.
- تداعيات العنف المتعاظمة قبل الثورة .
- الثوار في طريق الإصلاح السياسي بعيداً عن تداعيات العنف.
- آثار ما بعد الصدمة(ضعف إدارة الأزمة)

أريد من خلال الفصل الحالي أن أوضح كيف أن الغضب الشعبي المبارك لكل طوائف وأطياف مصر في ٢٥ يناير وثورتهم كانت تعبيراً عن الرغبة في الإصلاح ورفضاً لتداعيات العنف التي سادت في المجتمع المصري والتي أصبحت ظاهرة تهدد السلام الاجتماعي قبل الثورة، حتى أن ما كرسه النظام قبل الثورة من عنف في المجتمع المصري قد انعكس على الأيام الأولى للثورة في صورة حرق وتدمير ونهب للمنشآت وترويع شديد للمصريين، بل ومواجهات أدت إلى قتلى وإصابات بشرية ليست بالقليلة، وقد هدد هذا الوضع المؤسف وصول الثورة إلى أهدافها السامية سريعاً، وعاش الشعب فترات عصيبة وتوجس مخيف إلى أقصى حد .، وانعكس هذا وغيره على المواطنين والمجتمع كله سلبياً فيما أطلقت عليه آثار ما بعد الصدمة، وحيث تفاقمت هذه الآثار للضعف الشديد في إدارة الأزمة..

أولاً :الخطر الذي داهم السلام الاجتماعي قبل الثورة:

إن العنف قد بدأ فى مصر من خلال أحداث فردية ومتفرقة وخلال أزمنة متباعدة ، ثم تقاربت أحداثه زمنياً رويداً رويداً ، وتعددت صوره وأنماطه وتزايدت ضحاياه، إلى أن وصل إلى الجريمة المنظمة ، وتمثل ذلك أخيراً فى التفجير المؤسف لكنيسة القديسيّن بالإسكندرية فى الدقائق الأولى لعام ٢٠١١م .. وقد خرج العنف قبل عامين تقريباً قبل الثورة من المنازل إلى الشارع والى المهن المختلفة ، ومؤسسات المجتمع المدنى والحكومى، كالمدارس والجامعات والمجالس النيابية والمؤسسات الدينية..

وقد ظهرت تفسيرات متعددة للعنف فى مصر، وكلها تفسيرات لا تعتمد على توجه علمى ينتمى إلى العلوم الإنسانية، التى هى الجديرة الآن بأن يكون لها الكلمة فى الظروف التى يمر بها المجتمـع المصـري ... فتارة تكون التفسيرات من منظور أمني بحت، بل والعلاج أيضاً أمنيـاً.. وتارة أخرى تتمحور التفسيرات حول توجه طائفى يتمركز في العلاقـة بين مسيحى ومسلم ... وتارة يكون التفسير منصباً على النتـائج ولـيس الأسباب، فقد آلمني أن يحلل عالم محترم شهير في الطب النفسي حالات اعتداء الذات على الذات، في موجة إشعال المصريين النار في أنفسـهم، بأنها رغبة فى الاستعراض أو الظهور ..!

وفي كل الأحوال نسّي الجميع أنه يجب أن نفرق في التفسـير أو التشخيص بين السبب والنتيجة ..فقد يكون الاحتقان فى العلاقات البينيـة للمصريين نتيجة، ولكن لا يعد سبباً، وكذلك فان النمو الطائفى فد يمثـل النتيجة، ولكن ليس سبباً، كما أن تكرار حالات الانتحـار(عنـف علـى الذات) لا تعد سبباً بل تعتبر من النتائج، وتكرار التظاهر لفئات المجتمع المختلفة ليس سبباً بل نتيجة ، واعتصام فئات المجتمع المختلفـة حـول مجلس الشعب ليس سبباً لكنه نتيجة، بل أن التطرف بصوره المختلفـة لا أراه سبباً بل هو نتيجة من النتائج ..

إن السبب الرئيس للعنف في مصر – وكما ذكرنا سابقاً– هـو أن الشعب المصري على مدى سنوات وسنوات وبالذات منذ يوليو ١٩٥٢، قد مر بمستويات متعاظمة من الضغوط النفسية، ثـم بحـالات انفعاليـة متعددة ، منها: الغضب والاشمئزاز والحزن والخوف ثم اليأس والشعور

بالعجز .. وبتراكم هذه الانفعالات، وعلى مدار سنوات من فقد الأمل وصل الشعب إلى حالة من الاضطراب النفسي، تمثلت فى انفعال حاد فضلت أن أُطلق عليه انفعال القرْف (بتسكين الراء)، أو الشعور بالاستئصال، وهنا يضطرب السلوك .

وقد يكون العنف بصوره المتعددة هو السبيل الوحيد أمام الإنسان لتأكيد ذاته المفقودة، أو أن يتجه الإنسان إلى تحمل عبئ الإصلاح والتغيير، وهذا الأخير هو ما حدث مع شبابنا أبطال ثورة الكرامة المصرية، كما سنفصل ذلك لاحقاً... وإذا كان العنف قد خرج إلى الشارع، واختلف أبطاله ورواده ،قبل الثورة، فأصبح ظاهرة بين المهن المختلفة في الطب والتعليم ورجال الدين، وفي المؤسسات المختلفة كالمدرسة والجامعة والأحزاب والأسرة ومؤسسة الصحافة، حتى في المؤسسة الدينية، قبل ٢٥ يناير، فان حالات الانتحار قد ازدادت، وخاصةً بين الشباب، بل ظهرت حالات الانتحار بكل أنواعها والتي تمثلت أخيراً في تكرار حوادث حرق المصري لنفسه، معبراً عن حالات الاعتداء على الذات، وبهذا أصبحت البنية المجتمعية مريضة.

وإليكم بعضاً من أعراض هذا المرض المجتمعي قبل اندلاع ثورة الكرامة :

- لقد تحول الطبيب إلى مجرد شخصاً جامعاً للمال، مُغلباً المكسب المادي علي البعد الإنساني، والذي يمثل صميم مهمته وعمله، للدرجة التي يصل المريض بها إلى فقد حياته لأنه لا يملك ثمن العلاج، ان

هذا يُظهر عنفاً شديداً لأن السلوك صادر عن طبيب، ونفس الشيء يحدث بمختلف الصور على مستوى المستشفيات وإداراتها.

- وصل الأمر إلى أن يتحول المعلم إلى "معلم متجول" حيث الدروس الخصوصية مدفوعة الأجر وعلي حساب الحق الشرعي للتعليم المنظم داخل المدرسة..
- وصل عقاب المعلم لتلميذه إلى حد الموت.. أليس هذا المعلم قد أصبح في دائرة العنف الأسود..؟
- لقد تحول طبيب وأستاذ جامعة إلى سفاح .. فيقتل غريمه ويقطع جثته إلى أجزاء، لينشر كل جزء منها في مكان مختلف، وهذا يحدث في عيادته الخاصة التي حولها إلى سلخانة بشرية..!
- أصبح من الطبيعي أن تقف المدرسة عاجزة عن أن تفعل شيئاً في مقابل عنف تلاميذها وممارستهم البلطجة داخلها .
- وقفت المؤسسة الأمنية عاجزة أمام الشباب الذي يتحرش جنسياً بالفتيات تحرشاً صلِفًا في الطرقات والشوارع العامة وأمام المدارس، نهاراً وأمام أعين المارة .
- أصبح من الطبيعي استخدام رواد البلطجة في المدن أثناء الانتخابات لإثناء الناخبين عن ممارسة حقوقهم الدستورية في الإدلاء بالرأى، أو عدم وصول فئات معينة لتقديم أوراقهم للترشيح..
- حدثت مواجهات متكررة بين رجال من الشرطة ومواطنين تصل إلى حد الاعتداء عليهم بأي صورة من الصور.

- مجرد توجيه نقد إلى فئة دينية ترفع شعار الدين يؤدي إلى أن يُحل دم صاحب النقد...
- شخصاً يذبح أفراد أسرته جميعاً لمجرد خسارته في البورصة..
- تنشر زوجة صوراً علي النت لزوجها مع زوجته الجديدة، لمجرد زواجه بأخرى.. وتقتل الأم وابنها ابنتها لمجرد زواجها عرفياً...
- يقتل فرداً عشرة أفراد ويمثل بجثتهم في الصعيد، وحتى الآن لم تصل المؤسسة الأمنية إلى القاتل...
- حدثت مواجهات عنيفة بين أعضاء الحزب السياسي الواحد... مستخدمين جميع أدوات الاعتداء من بنادق وجنازير وحرق وتدمير....
- مارس شيوخ الطرق الصوفية في بلدي صوراً من العنف ضد بعضهم البعض، وتدور قضاياهم في المحاكم للصراع حول كرسي شيخ مشايخ الطرق الصوفية..فإلى أين قد وصلوا بالصوفية ؟ وما تفسير ذلك لمريديهم ؟
- أصبح من الطبيعي أن يكون الأداء داخل مجلس الشعب هو في تسارع نواب الأمة نحو رفع الأحذية علي بعضهم البعض...! وماذا يتوقع السادة أعضاء مجلس الشعب المحترمين وأعضاء الأحزاب السياسية الذين يمثلون النخبة السياسية من بقية أفراد المجتمع ؟ هل يتوقعون مزيداً من الاحترام والتقدير علي أدائهم الرائع بالأحذية والعنف اللفظي والرمزي داخل مجالسهم وأحزابهم.

- تم تفجير كنيسة في عبد الميلاد، ومن المفروض أن الحراسة للكنيسة في هذا اليوم أكثر يقظة، خاصةً بعد أن وجهت بعض المنظمات الإرهابية تهديداً ليجعلنا أكثر حرصاً وحذراً ..
- يوجد من المصريين حتى اليوم من يعيش على الكفاف ويشرب من مياه المجاري..

ما معني كل هذا ؟ معناه ببساطة أن السلام الاجتماعي داخل بلدي كان في خطر شديد، وهذا ما حذرت منه مراراً، وهذا الوضع هو ما يسبب الآن تداعيات ما بعد الثورة من عنف وتشدد....

لأن العنف داخل الأسرة معناه تشرد للأولاد، ومعناه غياب التوجيه والأمن الأسري، وبالتالي يزيد عدد أطفال الشوارع، ومن ثم تزيد الجريمة وتتصاعد صورها وتتعدد أصحابها.

والعنف عندما يزيد من رجال الشرطة معناه أن يفقد الإنسان قيمة ومصداقية الجهة الأمنية الرسمية، وبالتالي يذهب إلى قانون من صنع يده ليأخذ الحق به وتسود الفوضى والفساد.

وعندما تتعدد صور العنف من الطبيب والمستشفي، فإن ذلك يعني أن الإنسان قد فقد الأمن النفسي المرتبط بالصحة واستمرار الحياة، وهذا ينعكس علي سلوكه حقداً وضغينةً علي المجتمع الذي يفضل الغني علي الفقير.

وعندما تقف المؤسسة الأمنية عاجزة أمام موجات البلطجة المستمرة معناه أن يفقد الإنسان شعوره بالأمن فيضطرب سلوكه، ويمتد

ذلك إلى خوفه علي ماله وعرضه، وهذا كفيل بتوقف كثير مـــن أنظمـــة الحياة.

ومن جهة أخرى نرى السياسة العامة وتنفيـذها علـــى مســتوى المحليات والمستوى القومى قد تغلب عليها إما الإفــراط أو التفــريط ... ويتضح ذلك في إصدار القوانين التى تأخذ صفة العمومية دون مراعـــاة لخصوصيات المكان أو الزمان أو فئة ما، مثل: قانون الضرائب العقارية الذى يتساوى فيه الغنى مع الفقير والقادر مع غير القادر.

أيضاً عند تنفيذ القانون الخاص بمجال ما، فإما أن تحدث صـــحوة فجأة ليتم تنفيذه يوماً أو بعض يوم، وإما أن تمر الشهور والأيام فلا نجــد له صدى تطبيقي، مثل قانون المرور، ذلك الذى إذا طُبق فإنـــه يُطبـــق بإفراط، وعندما لا يطبق فإنه يعانى التفريط... وهكذا أعطانا المسئولون المثل الأعلى فى السلوك التطرفى، وبناءً على ذلك صدر لى كتاب فـــي غضون اندلاع الثورة بعنوان " العنف في مصر ..لماذا..والى أيــن ؟ " وصرخت من خلاله منبهاً إلى خطورة شديدة محيطة بالسلم الاجتمـــاعي والأمن القومي، ودعوت إلى تغيير سريع في سياسات الحكومةً، ولكـــن دائماً كان يأتي المسئولون في بلدي في قطار متأخر جداً ويجلسون فـــي السبنسة ..!

ثانياً : تداعيات العنف المتعاظمة قبل الثورة:

حين وصل الشعب المصري إلى انفعاله الحـــاد وأُغلقـــت أمامـــه أبواب الحلول للأزمة أو الأزمات الناتجة عن مسببات الشعور بـــالقرْف ذهب البعض منه إلى العنف، ومن الضروري بدايةً أن نحدد في عجالـــة

تداعيات الشعور بالقرْف قي بانوراما قصيرة، فمن هذا الأمر تتضح أبعاد جديدة للعنف، ومن ثم إدراك تداعياته .

لقد ذكرت سابقاً أن مسببات الشعور بالقرْف أو الاستئصال كانفعال حاد هي محصلة تكرار مستمر للسلوكيات غير المنطقية في المجتمع، وبالذات الصادرة من مؤسسات الدولة، والتي تتجاوز حدود المنطق وأصبحت جزء من حياة المواطن اليومية، ولكن لابد من التنويه بأن الشعب قبل ذلك قد تعرض لكثير من مصادر الضغوط طويلة الأمد، هذه الضغوط النفسية التي قد يختلف مستويات تأثيرها على طوائف الشعب، فتتباين الاستجابات لهذه الضغوط النفسية بتباين أطياف المجتمع، ثم يضاف إلى هذه الضغوط تلك الأنماط السلوكية غير المبررة والمتكررة وغير المنطقية والتي لا يجد الشعب لها تفسيرًا، في الوقت الذي لا يبدو فيه أمل في الحل القريب، هنا وصل الشعب إلى الأسباب المؤهلة للشعور بالقرْف ..

ويمكن القول: أنه يوجد نوعان من المواطنين قي مواجهة هذا الانفعال : فإما نمط لا يعيش التداعيات لانفعال الاستئصال أو القرْف ويتحدى دوافعه، فيواجه الانفعال مواجهة سلمية، وإما نمط آخر هو الذي يعيش تداعيات الانفعال، فيصبح لديه خبرة شعورية ذاتية واقعية ...

ومع استمرار هذا الانفعال مع هذا النمط الثاني فانه يعاني نوعاً من عدم التذوق الطبيعي لمفردات الحياة، ليجد المواطن نفسه تلقائياً في حالة من المواجهة السلبية. ولكن علي الجانب الآخر نجد المواجهة غير السلمية، وهنا يبدو علي المواطن قدراً كبيراً من الأعراض الاكتئابية

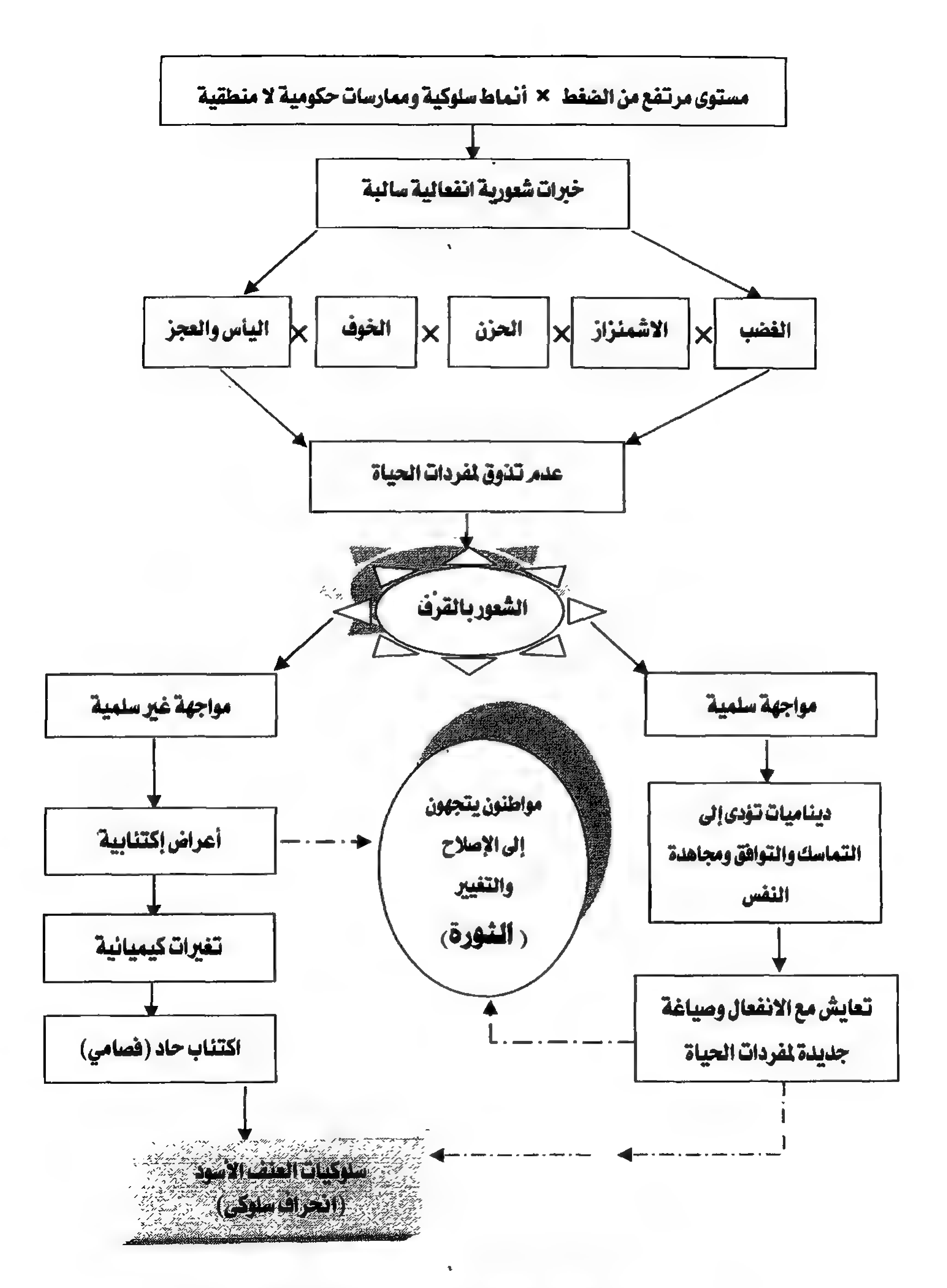
يصاحبها بعض الاضطرابات العصبية، لكن قد لا يصل الإنسان إلى انحرافات سلوكية..

ولكن مع استمرار الحالة، وبالذات في حالة عدم استطاعة النفس المجاهدة أو عدم وجود مناعة نفسية قد يحدث نوع من التغيرات الكيميائية في المخ، تلك التي تصل بالإنسان إلى حالة الاكتئاب المرضي أو الاكتئاب الفصامي، وهنا يصل الإنسان إلى أن يكون طرفاً في دائرة العنف، فيعتدي ويجد لنفسه مبررا لهذا الاعتداء، ويقتل ويجد في القتل حلاً منطقياً..، ويتحرش بالآخرين..إلي آخر السلوكيات التي تشبع توجه هذا المواطن نحو انحرافه السلوكي تطرفاً، والذي لا يجد سوى العنف سبيلاً وحيداً أمامه لتأكيد ذاته المفقودة، إلى أن تتجمع خلايا العنف شيئاً فشيئاً بين الشعب ليصبح عنفاً جماعياً ؤموجهاً ومن ثم محدداً لأهدافه....

وتنتج المواجهة السلمية الإيجابية مع النمط الأول عن حالة مجاهدة للنفس، محاولاً بها الحفاظ ولو على الحد الأدنى من التعايش مع مفردات الحياة، ولديه مناعة نفسية، فنجده يستجمع كل طاقاته النفسية والروحية في سبيل التماسك والتثبيت النفسي، فيزيد لديه التوافق ولو علي حساب قدر كبير من التكيف، وبالطبع يساهم في ذلك التوجه الموجب وسمات شخصية موجبة تدافع عن الذات، وربما يساهم في المواجهة السلمية – أيضاً -إنجازات شخصية ناجحة لهذا المواطن في مجال من مجالات الحياة، عملية أو مهنية بشكل ما. وقد يصل الأمر مع هذه الفئة إلى أن تستسلم لأعمال العنف بعد فقد جزء كبير من تماسكها النفسي في ظل ظروف مجتمعية صعبة أو مهددة للكرامة، أو أن تتجمع هذه الفئة مع عدد من المواطنين الذين لم يصلوا بعد إلى التغيرات

الكيمائية في النمط الأول حول الرغبة في التغيير وإصلاح المجتمع على أى وضع تسمح به ظروف المجتمع، وهذا ما حدث في ٢٥ من يناير في مصر...

ويوضح الشكل التالى هذه البانوراما النفسية المجتمعيـــة للحـــال المؤدي إما إلى سلوكيات العنف وتداعياته، وإما إلى محـــاولات التغييـــر الموجب والإصلاح تلك التي اتجه إليها أبطال ثورة الكرامة .



المراحل النفسية التي مر بها شباب الثورة

ثانياً: الثوار في طريق الإصلاح بعيداً عن تداعيات العنف:

قلت أن المواجهة السلمية الإيجابية لنمط من المواطنين يعبر عن حالة مجاهدة للنفس، محاولاً بها هذا النمط الحفاظ ولو على الحد الأدنى من التعايش مع مفردات الحياة، فلديه مناعة نفسية، ونجده يستجمع كل طاقاته النفسية والروحية في سبيل التماسك والتثبيت النفسي، فيزيد لديه التوافق ولو علي حساب قدر كبير من التكيف، وبالطبع يساهم في ذلك التوجه الموجب وسمات شخصية موجبة تدافع عن الذات، وربما يساهم في المواجهة السلمية – أيضاً –إنجازات شخصية ناجحة لهذا المواطن في مجال من مجالات الحياة، عملية أو مهنية بشكل ما.

وقد يتجمع فصيل من هذا النمط مع مواطنين في حالة الأعراض الاكتئابية التى تلي الشعور بالقرف، لكن لم يصلوا بعد إلى التغيرات الكيميائية المخية..

وأرى أن هذا النمط الجديد هو الذي انتمى إليه شباب الثورة، فعبروا عن ذواتهم ايجابياً وتقدموا نحو دفع الثمن للإصلاح والتغيير....وهذا ما يوضحه الشكل السابق...

من هنا أقول: أن هذه المجموعة من الفتية الذين أشعلوا ثورة الكرامة، وهم يتكونون من فئتان، الفئة الأولى هى فئة المواجهين سلمياً للشعور بالقرف ويتصفون بالثبات والتماسك النفسي وقادرون على الإنجاز وتأكيد ذواتهم .. أما الفئة الثانية هى من مجموعة المواطنين الذين تمكنت تداعيات الشعور بالقرف منهم ويبدو عليهم أعراض

الاكتئاب ولكنهم لم يستسلموا لتداعيات العنف وحاولوا أن يفعلوا شيئاً فى سبيل تغيير واقعهم، وهكذا يمكن أن نصف شباب الثورة، بأنهم:

- شباب على وعى بالعالم المحيط بهم، مدركاً لمطالب الشعوب المعاصرة .
- شباب لديه القدر الكافي من التماسك النفسي الايجابي، والطاقات الخلاقة.
- شباب ينزع إلى تعزيز حقوق الإنسان، فشعارهم الذي لم يتغير هو العدالة والديمقراطية ، حرية – كرامة.
- شباب جاء من الطبقة المتوسطة التي اخترقتها سلبياً سياسات نظام الحكم ما قبل التغيير.
- شباب واثق ومقدر لتاريخ بلده وأهمية نهضتها وعودة مكانتها..
- شباب رفض تداعيات العنف وثار وقفز على سلبياته حتى يؤكد ذاته ايجابياً...
- شباب متحضر فكرياً وسلوكياً، لديه حياء يمنعه من أن يرتكب عنفاً أو يرتكب سلوكاً تخريبياً، فكانوا يقومون بتنظيف ميدان التحرير وجمع القمامة طوال إقامتهم في الميدان ..

لكن للأسف قاوم هذه المجموعة الشريفة من شباب الثورة، فئة مضللة من الشعب المصري ، حاولت بكل الوسائل غير الشريفة أن تحبط الثورة، هذه الفئة عنيفة في سلوكها، وهى موجهة من خفافيش الظلام بأجندة داخلية تستقوي بفلول الإرهاب الذي يتغذى على لحوم البشر وينتصر لسفك الدماء، إنهم يحاولون سرقة الفرحة من وجوه

الشعب المصري ووجوه الشباب، ويعودوا بمصر إلى الفكر الضبابي الأسود، والممارسات التسلطية، والتطرف الدوجماطي، أو أفكار التخلف التي تلبس الحق بالباطل، ولكن ظل شرفاء الثورة من الشباب النظيف عند موقفه الهادف إلى الحرية والعدالة يطالب بها بعزة وكبرياء...

لقد مارس البعض من المنتفعين السلب والنهب من المحلات والبيوت وروعوا الشعب، بشبابه وشيوخه ونسائه وأطفاله، وظهرت هذه السلوكيات المشينة التى عبرت عن امتداد لحالات العنف في مجتمع ما قبل ثورة الكرامة، والتي قام بها فئة من شعب مصر همشتها سياسات النظام الغبي السابق، وجعلوهم يعانوا الفقر والجهل والمرض طوال سنوات وسنوات، وهم من مختلف الأعمار، إضافة إلى مجموعة كبيرة من المساجين التي تسبب النظام نفسه في إطلاق سراحها، وقد تم ذلك ربما من توجيه من قيادة ذات أهداف سياسية داخلية تنتمي إلى النظام السابق، والبعض من هذه الفئة ربما سلكوا طبقاً لتوجيه ذاتى لإشباع دافع العنف وسفك الدماء الذى يشفي الشعور بالاستئصال أو القَّرف بتداعياته، والذي ساد قبل ثورة الكرامة.

لذلك تسبب وجود هذه الفئات في الأحداث في تأجيل فرحة الشعب بالثورة ورياح التغيير، وحيث اقتنع شباب الثورة الشريف بما حدث من تغيرات إصلاحية وقرارات سياسية قام بها المسئولون الجدد في الدولة إلى حد ما، لكن استمر التصعيد الطبيعي للضغط الثوري، واتضح تصميم شباب الثورة الشرفاء على سقوط رأس النظام.. وسقط النظام...

ثالثاً: آثار ما بعد الصدمة:

يجب أن ننوه بدايةً بأن الشعب بالمفاجأة الكبيرة للثورة مازال يعيش آثار الصدمة بمستوياتها المختلفة، وتعبير الصدمة هو مفهوم سيكولوجي يحدد الآثار التي تلي الأحداث الجسام التي يمر بها الإنسان الفرد أو الجماعة بصفة خاصة، وحيث يلي هذه الصدمة – كحدث مفاجئ – آثار سلبية يجب أن نعيها ونعمل على التعامل معها بحكمة وموضوعية، وثورتنا من الأحداث الجسام، وقد يترتب عليها من الآثار النفسية والعقلية والاجتماعية الكثير، وقد تعوق هذه الآثار بعض ما يجب أن يكون من تغيير في المجالات الفكرية والنفسية والسياسية والاجتماعية للمجتمع المصري ولو قليلاً، أو على الأقل تؤجل البعض من التغيرات المأمول حدوثها . ومن المفيد عرض آثار"ما بعد الصدمة" في مجموعتين، الأولى : آثار سريعة أو عاجلة، والثانية :آثار بطيئة أو متدرجة ...

آثار سريعة أو عاجلة:

لقد سببت مفاجأة الثورة ارتباكاً شديداً فى منظومة الحكم فى مصر.. وتمثل ذلك فى بطيء إصدار أى بيانات أو تصريحات، ومر المسئولون بفترة صمت تتفق مع الغباء السياسي الذى يتميزون به، حتى أن أحد المسئولين قد ظهر فى اليوم الثانى للثورة، ليتفوه بألفاظ تدل على عدم الوعى بما يجري، وعدم الفهم لمتطلبات اللحظة .. واستمر الصمت حتى يظهر رئيس الجمهورية معلناً أنه قد قبل استقالة الحكومة، ويجري

تشكيل حكومة جديدة ..!! تلك الحكومة التى كان يجب أن يُضحى بها النظام منذ خمس سنوات مضت ...

ولم يتناول الرئيس أى من مطالب الجماهير فى ميدان التحرير .. ثم بعد ذلك بيوم تم إصدار بعض القرارات التى لم تقنع الشارع المصري، وأهمها تعيين نائباً لرئيس الجمهورية ..عموماً لم يستطع القرار السياسي أن يتواءم مع أحداث اللحظة ، مما تسبب فى ارتفاع سقف مطالب الشباب وطوائف الشعب فى شوارع مصر المحروسة، وكان هذا دالة أيضاً على عدم الوعى بأساليب إدارة الأزمة لدى المسئولين..

هذا فضلاً عن الخطر الذى واجه مصر ، حين ارتبكت واضطربت إلى أقصى حد قوات الأمن، وتخلت المؤسسة الأمنية في مصر فجأة عن مسئولياتها تماماً في حالة من الغموض الشديد، وأصبحت كل مصر معرضة لكل الاحتمالات غير الأمنية، وغادر أفراد الشرطة مواقعهم قبل أربع ساعات على الأقل من نزول القوات المسلحة إلى ميادين مصر بالتدريج ، وما زال السبب فى حدوث هذا الوضع بكل هذه السهولة سر من أسرار النظام الفاشل حتى اليوم، تم وعدت الحكومة بأن لا يحدث ما حدث من مواجهات عنيفة ضد الشباب في ميدان التحرير، ولكن للأسف تكررت المواجهة، وتمت بأسلوب مختلف، جعل الشباب في مواجهة أليمة مع بلطجية وجماعة موجهة من بقايا أباطرة الحزب الوطني، وكبدوا الشباب الأعزل خسائر في الأرواح كثيرة، وإصابات بينهم عديدة، وقد أفقدت هذه الممارسات البقية من ثقة الشباب فيما تم من تغيرات

سياسية، وجني الشعب والنظام البائد ثمار فقد الثقة، ممثلاً في تصميم الشباب على رحيل الرئيس، وارتفاع سقف المطالب، وعدم اقتناعهم بما يتم من إصلاحات ،الأمر الذي جعلهم يطالبون بضمانات للإصلاح، ومتوجسين خيفة من المستقبل، ولا يشعرون بالأمن على أنفسهم، واستمر الشارع المصري أثناء التدرج في خلع النظام يعاني الخوف مما قد يحدث من مفاجئات، ويشعر بأنه مازال في نفق مظلم، لا يعرف كيف تخرج منه الأمة، ومتطلعاً إلى الاستقرار والأمان ووقف الخسائر التي تتكبدها البلاد يومياً..

ومن الآثار السريعة للصدمة أيضاً، هو ما حدث من اضطرابات نفسية وعصبية للشعب المصري خاصة فى الأيام الست الأولى للثورة ، حيث عاش الشعب الدهشة والذهول مما حدث يوم ٢٥ من يناير، وما أن فاق على تحقيق حلم جميل، إلا وصدم بالتداعيات السلبية للأزمة ، وهُدد أمن المواطن، وأصبح ماله وأولاده وممتلكاته عرضة للنهب والسلب، إضافةً إلى الترويع من السجناء الذين فُتحت لهم السجون والمعتقلات، فأصبح المواطن منفرداً مسئولاً عن حماية نفسه بنفسه...وشعر المواطن المصري فى الأيام الأولى للثورة بأنه أمام غموض قاتل، ونفق مُظلم ومصير لمصر غير معروف، ومن الصعب التنبؤ به..

إن بعض هذه الآثار سوف تبقى فى النفس المصرية لمدة ليست بالقليلة، وقد واجه النظام البائد تصميماً من المعتصمين وشباب الثورة على رحيل الرئيس .. **وفعلا رحل رأس النظام وتخلى الرئيس عن الحكم في اليوم الحادي عشر من فبراير**، وبعد أن حاول بتعنت شديد البقاء

متخلياً عن اختصاصاته للنائب اللواء عمر سليمان، ولكنه استسلم في النهاية للإرادة الشعبية الجارفة، وهكذا يكون النظام قد تدرج في سقوطه نفس التدرج الذي يمر به كل مستبد..

آثار سلبية بطيئة أو متدرجة:

من هذه الآثار السلبية .. ارتباك الحياة اليومية للمواطن .. واضطراب فى صنع القرار بخصوص حياته ومشروعاته .. واضطراب يعتري الانتظام فى العمل والحياة الطبيعية في الشارع، و بدء الدراسة وانتظامها فى المدارس والجامعات ..أيضاً، أود أن أنوه ببعدين هامين، هما:

الأول يتمثل في مشاعر الرعب فى الشارع المصري، تلك التى عاشها الطفل المصري .. وكذلك صوَّر الشهداء والدماء التي شاهدها على شاشات التليفزيون .. مما قد يُظهر بعضاً من الاضطراب النفسي عند الأطفال مستقبلاً، متمثلاً فى:

- تعزيز ثقافة العنف عند النشء من المصريين، مما يؤثر سلبياً على سلوكهم مستقبلاً..
- نمو بعض أعراض المخاوف المرضية، أو الفوبيات، تلك التى تؤثر على سلوك الطفل أيضاً ، حالياً ومستقبلاً ..

أما البعد الثاني فيتمثل في الخوف مستقبلاً من دوام السلوكيات الناتجة عن وجود بعض الشباب في كل شوارع مدن وقرى مصر تحت ستار اللجان الشعبية، وهذا الأمر قد صاحبه وجود سماحية حمل السكاكين والمطاوي، بل يحملون أسلحة نارية، بحجة الدفاع الشعبي،

الأمر الذي يجعل المجتمع في حالة تهديد أمني، وفي حالة خوف إلى حد كبير من انتشار هذه السلوكيات والتي قد تتحول إلى تعـود وظـاهرة لا نستطيع تلاشيها مستقبلاً..

ويتطلب البعد الأول اهتمام المتخصصين فـى العلـوم النفسـية والاجتماعية، ومنظمات العمل المدنى، بهذا الجوانب بما يؤدى إلى تعامل مباشر مع هذه الحالات أو يتم التنوير النفسي للآبـاء المتعـاملين مـع الأطفال ...أما البعد الثاني فيتطلب سرعة استعادة قوات الشرطة لكفاءتها وهيبتها بما يؤهل إلى الاستغناء السريع عما سمى لجان شعبية، ومحاربة من انحرفوا منهم عن الهدف ..

ومن واقع الأمانة العلمية، وأيضاً من واقـع حبـي لمصـر أولاً واحترامي لشباب الثورة وكل القوى الوطنية والسياسية في بلادي ثانيـاً، يجب أن أحذر من أثر سالب قد يظهر على سلوك أى فئة سوف تتعاطى مع الأحداث والممارسات الحساسة القادمة، وخاصة الشـباب الـوطني الحر، ذلك الأثر السالب هو ما أُطلق عليه أعراض **تضخم الذات**، والذي قد يصيب فئة أو فئات من المجتمع ويضطرب سلوكها، ويعوق المسـيرة القادمة والأهم ..

لقد سبق الثورة الكثير من التراكمات الطويلـة مـن ممارسـات واحتجاجات وكتابات جريئة، ومظاهرات متوالية مـن فئـات المجتمـع المختلفة ، وكان هناك الظلم الكثير الذي عبر عنه أصحابه وقتها بطـرق جريئة متعددة، إلى أن اخترق شباب مصر العظيم حاجز الخوف وأشعلوا فتيل الثورة... ولذلك أقول : لا يجب أن ينزلق الشباب أو أى فئة أخرى

إلى أعراض نرجسية تصل بهم إلى سلوكيات التمركز حول الذات، فـلا يسمعون إلا أنفسهم، فالأمر يستدعي دائماً الحوار الوطنى الجاد بين فئات الشعب المختلفة، ذلك الحوار المنتصر فقط للمصلحة الوطنية، فكل فئات الشعب قد شاركت في وصول الثورة إلى أهدافها، ولا يجب التقليل مـن جهد أحد، أو أن تزايد فئة على وطنية فئة أخرى، فقد تبنى كل الشـعب مطالب الثوار وآمالهم وعاش معهم همومهم وأحزانهم كما يعيش اليـوم أفراحهم واحتفالاتهم بسقوط النظام البغيض البليد إلى الأبد..

لقد شاهدت الكثير من نماذج الشباب وهم يتحدثون فـى البـرامج التلفزيونية، قبل سقوط النظام، بأسلوب لم أكن أتمنى أن أسمعه، أسـلوب لا يليق بمن فجروا الثورة من أجل الديمقراطية، فى الحال الذي يعـرض البعض منهم عن سماع الرأى الأخر، ثم يأتي البعض الآخر كـى ينفـي رأى السابقين في استعلاء، ثم يعطي رأياً مختلفاً..وهكذا ندور في حلقـة مفرغة ..إن تضخم الذات للبعض يجعلني أخاف من المستقبل، ويجعلنى أستحضر مشهد المنصات المتعددة وسرقة الكاميرات لزعماء لبنان مـن بعضهم البعض، لنرى عندنا الحريري و جنبلاط، ونصر الله، رغم خلـو المجتمع المصري من الطائفية، والحمد لله.

إن تضخم الذات عند فئة من فئات المجتمـع ، ربمـا يقودنـا – والعياذ بالله – إلى عصر ما قبل الثورة ، وإلى نفس التصرفات التى كان يقوم بها أباطرة الحزب الحاكم ..حيث العزة بالإثم، والأنانية، والغرور، وعدم الموضوعية فى الحكم على الأشياء .. أدعو الله عز وجل أن يُبعد شبابنا والقوى الوطنية في بلادي عن هذا الطريق ، ويقى أنفسنا شـرور

هذا الاضطراب النفسى الهدام، ويهدينا جميعاً سواء السبيل...آمين يا رب العالمين.

وأخيراً، يجب أن أنوه بأن محاسبة المسئولين عن الفساد وإهدار المال العام واجب وطني وضروري، لكن أن يتحول الوضع إلى مهرجان من موجات الانتقام وتصفية حسابات فردية، هنا سوف يتم القضاء على مكتسبات الثورة، وسوف لا تتقدم المسيرة إلى الأمام، سوف نقف في اتجاه الخلف، بل يؤدي ذلك إلى تعزيز ونمو قيم سلبية أخرى في المجتمع، إن للمجتمع حق على هؤلاء الذين خربوا فيه ، ولكن أيضاً لهؤلاء أنفسهم الحق في محاكمات عادلة حرة .. إن الوطن الآن في حاجة إلى البناء لا المزيد من الهدم، في حاجة ماسة إلى التأسيس لا التفتيت، في حاجة إلى الإيثار لا الاستئثار...

الفصل الرابع

عودة مصر الشباب والهوية

(رياح التغيير)

- توجه مصر نحو منظومة فعالة للتعليم والبحث العلمي.
- استعادة هيبة مؤسسات الدولة ودورها.
- استعادة حجم مصر ودورها في المنطقة.
- عودة أمن المواطن المصري واحترامه في الداخل والخارج.
- تهيئة الأسرة والمدرسة كمناخ لتنمية الإبداع لدى الطفل المصري..
- أبعاد سيطرة رأس المال عن مجالات المعرفة والإعلام والسياسة.
- تكريس الفهم الجديد للمواطنة .
- تغيير في أسلوب التفكير والتعامل اليومي للمواطن والمؤسسات.
- عودة انتصارات أكتوبر إلى ذاكرة الأمة والشباب.

لقد بدأت رياح التغيير بالفعل، بدأ الشعب يتنفس رياح الحرية، وبدأ يقتنع أن وطنه لن يسرق منه ثانيةً، ولكن...هل نحن مهيئين فكرياً وعقلياً لذلك ؟ وهل نعرف أن للديمقراطية طريقاً واحداً يبتعد فيه الإنسان عن التخبط والانزلاق إلى التعصب ؟ وهل نعرف أن الحرية، التي هي عصب الديمقراطية لها ضوابط والتزامات ؟ أن طرح مثل هذه الأسئلة لا يعني أني أشك لحظة في أننا شعب غير قابل للحرية، أو يصعب عليه الأخذ بالديمقراطية سبيلاً للحكم، فتاريخ المصريين لا يقر بذلك .. ولكن الثورة التي فجرها شباب مصر صنعت المفاجأة الكبرى، التى لها من الآثار النفسية والعقلية والاجتماعية ما يؤدي إلى التضارب السلوكي لمختلف أطياف الأمة، مما يتطلب منا حكومة وأحزاباً ومنظمات مدنية أن نكثف جهدنا حول التثقيف والتنوير للشعب حول الوضع الراهن ومتطلباته، في إطار التربية السياسية والنفسية الفعالة ..

أما الأمر المهم الآخر والذي جعلني أطرح هذه التساؤلات، هو أن ثورتنا المباركة قد قامت في مجتمع ملئ بالمشاكل، ومعظمها مشكلات من النوع الذي يتطلب حلولاً فورية، لأنها تتعلق بحاجات الإنسان الضرورية، وهذا ما جعل فئات كثيرة من المجتمع والمهن المختلفة تتجمع يوماً بعد آخر في المؤسسات والشركات ودوائر حكومية متعددة لترفع مظالمها وتطالب بحقوقها، بقناعة غير موضوعية بأن رحيل سياسات النظام السابق يعني الحل الفوري لكل مشاكلنا اليومية ..إن الشعب في حاجة لكي يقتنع بأن الحلول لابد أن تكون تدريجية، وأنه

يجب عليه أن يعيد الثقة في ممارسات وسياسات الحكومة الحالية، إن التركة ثقيلة جداً، ورياح التغيير لابد من استمرارها ..

وفي الفصل الحالي أتناول بعض المحاور التي لابد أن تشملها سياسات الإصلاح المتروية، تلك التي تعود بها مصر شابة فتية، خصبة معطاءة، كما يراد لها ، ويعود لها هويتها المتميزة ومكانتها وسط العالم المتحضر..

أولاً : توجه مصر إلى منظومة فعالة للتعليم والبحث العلمي:

السبب الرئيس لنكساتنا السابقة في جميع مجالات الحياة هو تردي التعليم ، فبدون تعليم جيد لا يكون هناك مواطناً فاعلاً ومجتمعاً ناجحاً يساير التقدم التكنولوجي والعلمي والديمقراطي.. وبدون تعليم جيد تنهار الأخلاق وينتشر الفساد ويسود الاستبداد والفوضى.. وباعتباري من رجال التعليم ومتخصصاً في إعداد المعلم..كنت حينما يسألني أحد في الآونة الأخيرة عن مشاكل التعليم.. أرد رداً بسيطاً أراه واقعياً مفاده: "أن ليس هناك تعليم حتى أعدد مشاكله" وهذه حقيقة.. إذ ليس هناك منظومة تعليم أو بحث علمي في مصر أو حتى الدول العربية...

فقط يوجد تلميذ يجلس وأمامه معلم - لا يؤمن بعضهم برسالته - يلقن التلميذ من المعرفة السطحية ما شاء، دون مراعاة لشخصية التلميذ أو تنشئة إنسان على شاكلة الإنسان أو حتى مواطن.. لا المنهج يهدف إلى هذا، ولا هذا في ذهن وخطة وزارة التعليم أصلاً.

بل العكس هو الصحيح ، كل ما يجري في المدارس قد ساهم مساهمة فعالة في تكوين شخصية منحرفة ، تمارس العنف في المدرسة

والبلطجة في المجتمع، وكل قوانين الوزارة قد جعلت من المعلم إنساناً يشعر بالدونية ، وبالتخاذل أمام تلميذه، فكان رد فعل المعلم متطرفاً أيضاً، وسلوك التلميذ نفسه أصبح من عنف إلى عنف ، فقد أصبح المعلم يأخذ أجر الدرس الخصوصي من يد تلميذه ، ففقد احترامه..أصبح يعمل عند تلميذه.. أصبح مستأجراً..

ولا يختلف تعليم الجامعات كثيراً عن ذلك ، فلا يوجد ارتباط تربوي بين المعلم والطالب لتكوين شخصيته وتعليمه أصول التعامل في حياته..حتى أن الدراسات العليا في الجامعة، هي كذلك أيضاً، ليجد الطالب نفسه أمام تيسير مختل يقوده نحو ماجستير ثم دكتوراه منسوخة، بقليل من الإجراءات التي تنتهي إلى مجموعة من الورقات بين غلاف جميل ليمثل دور رسالة ماجستير أو دكتوراه.. وبهذا يكون المتخرج أداة متجددة لزيادة التحطيم والتسطيح لعقول أجيال قادمة .

والأمر يستدعي ذكر بعض السلوكيات والسياسات التي تدور حول هذا المحور، وحتى يتم إلغائها مع رياح التغيير:

(١) سياسات تعليم متخبطة، هزيلة تعتمد وتتوقف على وجود شخصي للوزير، وهي ليست بسياسة، بل منظومة من الوعود التي إذا نُفذت لا تتم إلا في صورة ترقيعات للتعليم وليس تطويراً له، المهم أن تنشر الوعود في الصحف لتثبت عملاً وجهداً وتؤدي وظيفة سياسية، ثم يثبت بتوالي الأيام والشهور فشلها وضيق أفق مروجيها.

(٢) تشترك الوزارة نفسها- متعمدة أو بجهل- في هدم شخصية التلميذ وإكسابه اضطرابات نفسية وعقلية أحياناً، وذلك في تعاونها مع

هيئات استثمارية ذات أهداف مادية في المقام الأول لكنها تخرب العقول تحت وهم تنمية قدرات عقليةً أو ذكاءً، مثل: هيئة **Uc.mas**.

(٣) تخلو المدارس من إمكانات تنفيذ أنشطة حركية أو فنية أو معرفية، والتي هي من أبسط أدوات المدرسة الفعالة.

(٤) تحافظ الجامعة على عضو هيئة التدريس والذي يحمل درجة الدكتوراه، وحتى سن التقاعد ولم يكتب بحثاً وليس له أي نشاط بحثي أو أكاديمي، والعجب كل العجب في أنه يقوم بالتدريس والإشراف على رسائل ماجستير ودكتوراه..!!

(٥) في إطار ما أطلق عليه "جودة التعليم" لا يوجد جودة ولا يوجد مدرسة أو جامعة قد قوّمت في إطار معايير جودة حقيقية، بل هي منظومة مادية يتسارع حولها وبها العاملون في حقل التعليم بهدف زيادة دخولهم!

(٦) تطوع الكثير من علماء مصر في الخارج، مثل: الدكتور مصطفي السيد والدكتور أحمد زويل، من أجل إنشاء قاعدة بحثية ..وكذلك تقدم الدكتور فاروق الباز بمشروع يصل إلى الحد لأن يكون المشروع القومي لمصر نحو التنمية ...ولا مُن مجيب، ومازال الخرس الحكومي مستمراً.!.

(٧) استمرار اختيار قادة الجامعات بالتعيين دون الانتخاب، أو حتى مراعاة الكفاءة الشخصية أو العلمية، أو حتى من ذوي توجه إداري مشهود لهم، لكن فقط يتم اختيارهم طبقاً لتوجه يخدم مصالح لهيئات حكومية من نوع معين!!

لقد آن الأوان أن ننظر إلى التعليم باعتباره معمل بناء الشخصية المصرية، بناءً جديداً يقوم على أساس فكر منظومي، ونبتعد عن سياسة الترقيع، فالتعليم ليس قمحاً فاسداً، ذلك الذي استمر النظام الفاسد يغذينا به.

فمجرد النظر إلى سياسات تتعلق بالتعليم من منطلق أنها تقبل التغير والتبديل كمثل التغيير فى سياسات أى وزارة أخرى، مشكلة تدل على أننا نفتقد معنى المنظومة التعليمية المستقرة وخطورة أبعادها على المجتمع ومستقبل البلاد، فيمكن أن يصل القمح الفاسد .. وبسرعة يمكن إعادته إلى المصدر الذى بلانا به .. بل يمكن أن نأكله، وقد ينجح العلاج الطبى معه .. أما أن نصدر قراراً فاسداً للتعليم، ثم نكتشف خطأه ونحاول تعديله بآخر .. فهذه مصيبة كبرى.

إن قراراً فاسداً واحداً فى التعليم قد تحاول تعديله لكن بعد أن يكون التلميذ قد أكل به وهضم، وتعامل به وهبط .. وتخرج به جيل يعيث فى الأرض فساداً .. وهذا هو ما أصبحنا فيه اليوم نتيجة سياسات وزارات متتالية للتعليم .. سياسات قامت على "الترقيع" ليس لديها رؤية لمنظومة تعليمية ثابتة تتضح أهدافها وتخدمها القرارات المنطقية الحكيمة .. لابد أن ننظر لوزارة التعليم على أنها وزارة الاستثمار البشرى والتنمية الغالية الثمن، والذى يمكن به ومعه أن نصلح من جميع الوزارات الأخرى. فإن أردنا إصلاحاً - وليس أمامنا الآن سوى هذا الخيار - فلابد أن يتفرغ مجلس الوزراء لشهور فقط للتعليم - لابد أن يضع منظومة تعليمية تحقق أهداف الوطن مع مشاركة فعالة من شيوخ

التربية وعلم النفس .. وخبراء المقررات الممارسين لواقع التعليم المصرى .. هذه المنظومة تجيب على سؤالين هامين، هما: ماذا نريد من التعليم حالياً ومستقبلاً ؟ .. وكيف يتم تنفيذ ذلك ؟ إن هيبة المعلم لن تعود إلا بإعادته مربياً يعمل فى منظومة محترمة، فلا يلبى "طلبات المنازل" تلك التى جعلت يد التلميذ فوق يده!!

إن المنظومة التعليمية لابد أن يقوم بناءها على التدرج فى الإصلاح من المرحلة الابتدائية لتصعد إلى بقية المراحل بثمارها الطيبة حتى الوصول إلى جامعة تعود إلى التعليم والبحث العلمى.

ومن هنا فإن الأمر يستدعي استراتيجية طويلة المدى وحلول عاجلة، على أن تكون الحلول العاجلة فى خدمة الاستراتيجية طولية المدى ومحققة لأهدافها.

ومن الحلول التى أرها تخدم الاستراتيجية طويلة المدى:

- التغاضى تماماً عن أى تعليم نظامى لطفل "ما قبل المدرسة" إنها فترة مرح ولعب، حتى يصل به معلم رياض الأطفال إلى "لعب موجه" يُنمي به ميولاً واستعدادات، يتم تفريغها فى أنشطة متنوعة.
- إلغاء تدريس اللغة الإنجليزية تماماً فى مرحلة ما قبل المدرسة، وحتى السنة الرابعة من المرحلة الابتدائية فتدريس اللغة الإنجليزية لن يصل إلى أهدافه بدون أن يكتسب الطفل الحس اللغوى فى اللغة الأم (العربية) أولاً .. ولهذا فقَد تلميذنا تذوق اللغتين.
- العودة إلى الاهتمام بمقرر الدين الإسلامى والمسيحى واحتساب درجاته .. على أن يتم النظر باهتمام إلى منهج متدرج يبنى عقيدة

المسلم والمسيحى .. تلك التى تنمى التسامح وتعالج السلوكيات السلبية المهددة للسلام الإجتماعى فى الشارع المصرى ..

- ابتداءً من الصف الأول الابتدائى وحتى الثالث الابتدائى لا يبقى الطفل فى الفصل الدراسى أكثر من أربع ساعات متدرجة ... يتعلم فيها اللغة ومبادئ الحساب والدين بما يتناسب والعمر الزمنى المتدرج. وبهذا يجد الطفل فسحةً من اليوم الدراسى لأنشطة متنوعة وممارسة هوايات حقيقية ..

يجب أن نصل إلى بهجة التعلم .. وليس عذاب التعلم ..

ثانياً :استعادة هيبة مؤسسات الدولة ودورها:

إن هيبة الدولة تتمثل في إجراءاتها الضابطة، وقوانينها الرادعة، وقبل ذلك في مراعاة تطبيق بنود الدستور بشفافية ونزاهة، فينعكس هذا على المواطن أمناً واطمئناناً، فالمواطن باستشعاره لهيبة الدولة يستشعر الأمن الشخصي والجماعي، ويمتد ذلك إلى استشعاره للأمن القومي، هنا يزيد حبه ويتعمق انتماؤه ويشعر بالعزة والكرامة.

أما عندما تُبعد الدولة يدها عن الأحداث الداخلية ممثلاً في بطء تدخلها، أو عدم تدخلها، أو تجاهل ما يحدث، فتلك مصيبة كبيرة ، ينتج عنها فوضى وتراجعاً في هيبة القانون وفي مؤسسة الأمن وفي المفاهيم التي يجب أن تؤمن بها هذه المؤسسات، وهذا ما حدث تماماً ابتداءً من الساعة السادسة مساء الجمعة وهو اليوم الرابع لانطلاق الثورة، والذي لا ندري له تفسيراً حتى الآن، وحيث انسحبت قوات الأمن من كل شوارع

وميادين مصر وتركت البلد للعنف والترويع الشديد للمواطنين، من قبل فئة ضالة قامت بالسلب والنهب وفتح السجون والمعتقلات...

ويترتب على مثل هذه السلوكيات من المؤسسات أن يختلق الأفراد والجماعات والفئات المختلفة قانوناً خاصاً يحكمون به أنفسهم ويسلكون وفق بنوده، وبهذا يختلط الحابل بالنابل كما يقولون، وينزع المجتمع إلى فوضى وعنف واستبداد ..

وقد ظهرت في مجتمع ما قبل ٢٥ يناير سلوكيات تتمركز حول هذا المحور الخطير، والتي لابد من إلغائها وإحباط آثارها:

(١) إن أي أحداث كان يمثل أطرافها مسيحي مقابل مسلم نلاحظ فيها نوعاً من الاضطراب على نحو ما من تدخل رجال الشرطة، فإما تدخلاً هزيلاً أو بطيئًا، وقد جعل هذا الأمر مبرراً لتكرار هذه الأحداث التي لا تحسم مباشرة ، فلا يأخذ المعتدى عليه فيها حقه.

(٢) أساليب خاطئة متكررة لتدخل رجال الشرطة، ظهر ذلك في أسلوب معالجة أحداث سيناء المتكررة ، وظهر ذلك في صدام الشرطة مع ٥٠٠٠ مواطن في أسوان نتيجة للسلوك الخاطئ من رجل شرطة مسئول. وظهر ذلك أيضا في أحداث كثيرة كان بطلها رجل شرطة تجاوز حدوده المهنية مع مواطن ما، مثلما حدث مع المواطن المرحوم – بإذن الله – خالد سعيد في الإسكندرية.

(٣) بطئ تدخل الشرطة وتراجع دورها أمام أحداث تعلقت بصراعات حزبية، كما حدث في حزب الوفد وحزب الغد ، مما أدي إلى أحداث دامية وخسارة مادية كبيرة، نحن في غني عنها.

(٤) حدثت معارك متفرقة متكررة في أنحاء الجمهورية ظهـرت فيهـا أعداد كثيرة من بنادق آلية ..فمن أين أتت؟ وكيف أتت؟ وكيف تجرأ هؤلاء الناس على استخدامها عيانًا بيانًا ؟

(٥) صرخة الاستغاثة من المواطن المصري في الخارج للوطن لم تكـن تُسمع، وتكرر هذا كثيراً، مثلاً: الطبيب المصري الـذي يُجلـد فـي شوارع السعودية العربية المسلمة ولا من مجيب، إلا الـبعض مـن منظمات مدنية وحقوقية، ومواطنون مصريون في ليبيا ينادون مـن يتسلمهم من السلطات الرسمية الليبية ولم يسمعهم أحد... إلـى آخـر هذا النوع من السلوكيات المهينة للمواطن المصري والماسة بكرامة مصر العزيزة.

(٦) أحداث متكررة على الحدود المصـرية الإسـرائيلية فيهـا تعـدى الإسرائيليون على أفراد شرطة مصرية .. ولم نسمع سوى التعبيـر عن استياء أو أسف الإدارة المصرية على ذلك .

(٧) أحكام قضائية غامضة ، وفي قضايا تمس الرأي العام وذات نتـائج تمثلت في خسائر بشرية كبيرة، مثل الحكم في قضية "العبارة" التـي ذهب ضحيتها أكثر من ١١٣٠ قتيلاً، أي أكثر من عدد شهداء غـزة العزيزة..

(٨) كثير من القضايا المتعلقة بقروض البنوك أصحابها أحراراً طلقـاء حتى اليوم ويتجولون في بلاد الله وبين خلقه سبحانه وتعالي بكل زهو وفخر.

(٩) كثير من الحوادث في الفترة الأخيرة والتي اتسمت بتقـديم الجـاني سريعاً، ثم اكتشفنا أن الجاني ليس جانياً، مما يؤثر علـى مصـداقية جهاز الأمن.. تلك الذي بدونه يشعر المواطن بعدم الأمن والأمـان.. ويؤثر ذلك على هيبة القانون واحترام مؤسسات الدولة .

أعتقد أن الشرطة المصرية – ومع احترامي لها ولدورها المهم – سوف تتغير المبادئ المنظمة لمهامها مع رياح التغيير والحرية، وسوف تتغير أساليب وإجراءات تنفيذ المهام المنوطة بها بما يتفق مع عهد جديد من الحرية واحترام إنسانية الإنسان المصري، وبالفعل قد عـاد شـعار الشرطة في خدمة الشعب وصدر قراراً بذلك في اليوم العاشر لقيام ثورة الكرامة، وهذه بداية طيبة لمزيد مـن تغيـر المفـاهيم الشُـرطية إلـى الأفضل..

ثالثاً: استعادة حجم مصر ودورها في المنطقة:

لا يصح أن تكون مصر بكل تأريخها وعراقتهـا إلا رائـدة فـي مجالات الحياة المختلفة ، بل إن ما حولها في أفريقيا وآسيا مـن دول لا يمكن أن ينظروا إليها إلا من هذا المنطلق.. رائدة في المعرفة والطـب والثقافة والفن والأدب.. في كل نواحي الحياة. لقد عانينا فـي السـنوات الأخيرة اختزالاً ملحوظاً لحجم مصر ودورها.. إن هذا يحدث الآن فـي جميع مجالات الحياة بصور ونسب مختلفة، للدرجة التي يحاول الـبعض (دول صغيرة في المنطقة) أن تستغل مثل هذا التراجع وتحاول أن تبـرز كشكل لطمس مصر ودورها كأرضية.. ينجحون في ذلك أو لا ينجحون ليست هذه هي المشكلة ، المشكلة فينا نحن، نحن الذين نجعل الآخـرين

يحترمون أنفسهم، ونحن الذين نجعلهم يتطاولون ويزايدون على مصر وعراقتها ودورها..

ومن المظاهر السلوكية التي تؤيد هذا الوضع المؤسف، والتي لابد من إلغائها مع رياح التغيير :

(١) تكررت حالات الاضطراب في القرار السياسي الصادر من المؤسسة الدبلوماسية في السنوات السابقة على الثورة ، مما أُظهر مصر في حالة ارتباك، وقد يُسهل هذا للبعض الدخول في مزايدات على الدور والتوجه المصري.. وقد حدث ذلك بالفعل – خاصة – في أحداث غزة الصامدة .

(٢) كانت مصر إلى وقت قريب قِبلة العرب والأفارقة في العلاج وطلب المعونة الطبية، ومن جولاتي في البلاد العربية رأيت أن هناك دولاً عربية أخرى قد احتلت هذا الموقع، وكما حدث هذا في الطب، حدث أيضا فيما كانت تستورده المنطقة من مصر من مواد غذائية وغير غذائية، وقد فُتحت أسواقًا أخرى في المنطقة بعيدة عن مصر.

(٣) أصبحت مصر تعاني أزمة سينما وإنتاج فني مُزمن، في الوقت الذي صعدت فيه دول مجاورة لتحتل دور مصر الرائد في هذا المجال.

(٤) توجه الدارسون العرب إلى دول عربية أخرى بعيداً عن مصر، للحصول على درجات الماجستير والدكتوراه.

(٥) لمصر حجمها المعنوي المتمثل في قيمة أبنائها، وحرمة حياتهم اليومية، ويخجل المصريون في الخارج حين يتندر الآخرون على

طوابير الخبز وأنابيب الغاز، والعشوائيات في بلدهم، وغير ذلك من الأمور المهينة لمصر والمصريين..

فهل من سياسات حكومية جديدة ومواكبة للأحداث من حولنا تجعلنا نستعيد دور مصر وريادتها ؟ وهل من نهاية لمعاناة شعب كان يُطعم الطير قمحًا، وشعباً علَّمَ المنطقة والعالم مفردات الحياة ؟

رابعاً : عودة الأمن والكرامة للمصري في الداخل والخارج (*)

الشخصية المصرية نشأت على مبدأ التمركز حول الكبير - كما شرحت ذلك في الفصل الأول - والكبير للمصري في حالة الغربة وابتعاده عن وطنه هو سفارته بدورها الرسمي وغير الرسمي.. ومع أسفي الشديد أقول لا تجد سفارة مصرية في دولة عربية تتمركز في مهامها الرسمية حول احتواء أولادها في الخارج .. إن مهمتها فقط تتمركز حول علاقة مصر بالدولة التي تقع فيها السفارة والعمل على استرضائها ، وكان لهذا الدور المتخاذل آثاراً شديدة على الحالة النفسية للمصري، وانعكس ذلك في سلوكيات متطرفة أحياناً، ذلك لأن الحبل السري الذي يصله بوطنه قد قطعته سفارته بسلوكياتها هذه غير المبررة.

وانعكس هذا أيضا في توجه سالب من أهل هذه البلاد نحو المصري، وحتى على المستوي الرسمي، فضاعت حقوق المصري المادية والمعنوية، وأصبح كبش فداء أحياناً كثيرة من أجل تغطية هذه الدول لزوايا سلوكية وتوجهات مشينة من جانبها..

---

* للمزيد من التفاصيل النفسية عن هذا المحور، يمكن الرجوع إلى كتاب للمؤلف الحالي بعنوان "الحاجات النفسية في حياة الناس اليومية" (قراءة جديدة في هرم ماسلو) والذي صدر في دار الفكر العربي بالقاهرة.

ضاعت حقوق المصري المادية ، وأهم من ذلك أصبح من المستباح أن يُحكم عليه قضائياً بأحكام لا تطبق أصلاً بين أهل هذه البلاد، بل أحكاماً ظالمة تجاوزت حتى حدود الشريعة الإسلامية، والتي تدعي هذه البلاد تبنيها أو أنها محور منظومة العدالة فيها..

لقد تكررت سلوكيات كثيرة للسفارات المصرية تدل على عدم ارتباطها بالمواطن المصري، إن الأمر يستدعي مع رياح التغيير أن تراجع الخارجية المصرية هذه السياسات السلبية، بالقدر الذي يعيد للمصرى كرامته على الصعيد الدولي والصعيد العربي على وجه الخصوص.

أما في الداخل، فلابد من أن يشعر المواطن بالثقة فيه وفي قدراته، وأن تصنع الحكومة جسراً من العلاقة بينها وبين المواطن قائمة على الثقة والصراحة، الأمر الذي يجعل المواطن متبنياً لسياسات الحكومة ومدافعاً عنها، هنا يستعيد المواطن استشعاره بالأمن والكرامة وتأكيد ذاته، ويستعيد القدرة على تفعيل إمكاناته لخدمة الوطن الذي لا يفقده حقه، وهذا الوضع الايجابي سوف ينعكس بطبيعة الحال على احترام الشعوب الأخرى للمواطن المصري ويزيد من ثقتهم به ..

خامساً : تهيئة الأسرة والمدرسة كمناخ لتنمية الإبداع:

الإبداع بوجه عام ينتج عنه إنتاجاً غير مألوفً فى مجال ما من مجالات الحياة المتعددة، والمبدع أو المبتكر هو إنسان ذو بنية عقلية خاصة تجاوزت ما يطلق عليه الذكاء.. فهو يملك قدرة عقلية خاصة يستطيع بها أن يصل إلى تفكير ابتكارى أو إنتاج ابتكارى يتميز بالأصالة

والمرونة والطلاقة.. وحين يصل الفرد المبدع إلى إبداعه يصل في ذات الوقت إلى تأكيد ذاته وتحقيقها، وتأكيد ذات الوطن ونموه.

من هنا نقول أن الإبداع يلزمه بيئة إبداعية، فلا يمكن أن يتم إبداع من إنسان محاط بالمشكلات اليومية، تتقاذفه أمواج البحث عن قوت يومه ورعاية أولاده.

ويمر الإبداع بمراحل أربع، هى: مرحلة الإعداد، تلك التى يكون فيها المبدع فى حالة تفكير حول غموض أو خيال جـامح فـى البدايـة، وحالة من تضارب الأفكار، حتى يصل إلى تحديد الفكرة الرئيسة، تلـك التى تمهد لدخول الفرد فى مرحلة التحضين" والتى فيها تخضع الفكـرة إلى حالة معالجة عقلية، لتتخمر الفكرة وتتحدد معالمها ويصل الفرد بهـا إلى "الإشراقة" وهى المرحلة التى ينتج فيها المبدع إبداعه سواء أكان آلة جديدة أم جهازاً فريداً، أم شعراً أم قصة، أم مجرد حل لمشـكلة حياتيـة مستعصية، وهنا يصل المبدع إلى مرحلة التقييم للإنتاج الإبـداعى مـن حيث جدته وأصالته ومدى الانتفاع به. إن هذه المراحل حتى وإن بـدأت لا يمكن أن تصل إلى نهايتها فى بيئة غير إبداعية، أو بيئة تهزم المبـدع ولا تدفعه إلى نهاية الهدف.

فلابد أن يكون المبدع مشبعاً لحاجاته الأولية البيولوجية، بالقـدر الذى يمهد له إشباعاً كافيًا للأمن، وبالتالى يشبع الحب والانتماء فيؤهلـه ذلك إلى تأكيد ذاته وتحقيقها على النحو المرُضى له، فهذه البيئـة تـوفر عوامل التفكير الابتكارى اللازم.

إن بلادنا مليئة بأمثال العالم أحمد زويل والأديب الكبير نجيب محفوظ والطبيب المبدع مجدى يعقوب، والدكتور مصطفى السيد، والدكتور فاروق الباز، وغيرهم.. لكن المهم هو بيئة الإبداع.. فبدون البيئة المثيرة للإبداع على النحو الذى ذكرت، قد ننتج بحثًا، وقد نصل إلى نتائج علمية جيدة، لكنها ليست ابتكاراً من منظور الأصالة والجدة كمعايير ابتكارية.. فالبحث العلمى الابتكارى كمشروع أمة، لابد أن يسير بمبدأ الاحتياج المجتمعى، ويتم بواسطة خلايا بحثية جماعية تعاونية، تقف خلفها إرادة سياسية ومدنية من أجل التقدم والنهضة.

من جانب آخَر فإن عدم وجود إرادة للبحث العلمى فى البلاد يؤدى إلى اختلال فى البنية المعرفية. حيث التوجه إلى معرفة سطحية كمن يؤدى واجباً يومياً روتينياً، وهذا ما نجده فى الجامعات الآن، وبنفس المقياس، وعلى المستوى الشعبى العام يؤدى بفئات من الشعب إلى معرفة لا ينفع العلم بها وحيث الجهل بها لا يضر، لذلك ظهرت الفتاوى اللاعقلانية على فضائياتنا الهوائية، وارتفع سيف الحرام والحلال على كل مهامنا اليومية الضرورية، فالنحت كفن حرام، والتصوير بكل عدساته حرام، وهكذا أيضا برز الرقص كإبداع، بل ظهر للرقص علم ومعلمين فى بلادنا العربية..!

وامتلأت الأسواق بكتيبات عن معجزات الأرقام فى القرآن الكريم، وكأن إيماننا بالقرآن يحتاج إلى المزيد من المعجزات.. وإلا ما الجديد الذى تضفيه هذه المعلومات .. وهنا أذكر سيدة قد سئلت عن عدم اهتمامها بمجيء الإمام الغزالى فى مكان يُلقى فيه محاضرته، والناس من

حولها يتلهفون ويسعون إلى رؤيته، فقالت العجوز: ومن هـو الغزالـى، فقيل لها: هو الإمام الذى أتى بألف دليل على وجود الله يا امرأة، فـردت السيدة العجوز على الفور وببساطة: إذًا كان لديه ألف شك علـى عـدم وجوده!

إن إرادة الإبداع تتطلب "تربية الإبداع" لأطفالنـا وتلاميـذنا فـى مدارسنا وجامعاتنا.. فهل حرصنا على ذلك عن طريق تهيئـة المدرسـة كبيئة إبداع ؟ أم ما زلنا نوجه تلاميذنا قهراً إلى ما نريد تدريسه لهـم ؟ وهل درجة التلاميذ فى التحصيل الدراسى فيها دلائل إبداع، أم أنهـا لا تمثل إلا مهارة تذكر وحفظ واستظهار التلميذ للمعلومة ؟ .. هـل نتـرك التلميذ الصغير فى المدرسة يمارس هواية الرسم على النحو الذى يختار فيه الموضوع ويستخدم فيه وسائل التعبير بطريقته، أم ما زلنـا نفـرض عليه موضوعاً محدداً يرسمه وننهره ونقهره إذا لم ينفذه كما نريد ؟

هل وفرنا عدداً من الأنشطة داخل مدارسنا لتستوعب أكبر عـدد من الهوايات والميول وعملنا على تنميتها والصعود بها تشجيعاً وعرض الفائق منها فى معارض خارج المدرسة وداخلها.؟ أم ما زال المعلم يرسم بعض اللوحات بنفسه ويعد بها معرضاً ويدعو المدير والقاضي والـداني لافتتاحه، وبدلاً من أن يعلم إبداعاً تعلم منه التلميـذ تزييفـاً وتزويـراً وتدليساً.

هل يتيح المعلم الفرصة للتلميذ بأن يجيب على السـؤال بطـرق مختلفة، أو حل مسألة رياضية بأسلوب مختلف، حتى لو خـالف التلميـذ

معلمة، أم أن التلميذ فى هذه الحالة يصبح خارجاً عن خط الأدب وغيـر طبيعى ؟

ونأتى للبداية من الأسرة. . فهل يسمح الأب بمحاورة الابن لـه، والتعبير عن رأيه بجرأة والتمسك بحقه ؟ أم أن كل هم الأب مركزاً حول عدم علوّ صوت الابن أمامه، والوقوف بخشوع مردداً نعم وحاضر ؟

هل يعوّد كل من الأب والأم طفلهما الصغير على اختيار ملابسه بحرية، أم تفرض عليه فرضاً، كما يفرض عليه جوانب عديدة من شئون حياته ؟ وهل بحثت الأسرة عن هواية بارزة أو ميل فائق عند الابن، بـدلاً مـن مجرد حصوله على درجة تفوق دراسي ؟ وهل عندما تعرفـت الأسـرة ولو بالصدفة على ميول معينة عند ابنها أو هواية بارزة توجهـت إلـى مؤسسة أو مكان ما لتنمية هذه الميول أو رعايتها ؟

هل تعرف الأسرة أو المدرسة أصلا السمات الشخصـية للطفـل المبدع، حتى يمكن تجنب عوامل إحباطه ؟ ..فالمبدع يحتاج إلى نوع من التقبل من البشر حوله، لأن هذا يعطيه نوعاً من الأمـن والاطمئنـان، فيتيح له التفاعل مع المجتمع، حتى لا تزيد عزلته ويكون لـذلك توابـع سلبية.

لقد فرضت علينا الدراما المصرية والعربية، القديم منها والحديث شخصية "الدرويش" (أو الشخص اللى فيه شئ لله) ليحشر حشـراً فـى الأحداث وحتى يرى المستمع أو المشاهد أن ذلك الشخص هو فى النهاية الذى يحل المشكلة، أو هو الذى يوجه الأحداث إلى النهايـة المنشـودة.. فانعكس ذلك فى فكر ضحل سالب أصبح جزءاً مـن البنيـة المعرفيـة

للإنسان المصري، وأصبح الطفل الطيب (أى الهادئ/ غيـر المتفاعـل/ المطيع / ليس له صوت) هو الطفل المثالى، فتفخر الأسرة بـأن طفلهـا مُريح، أى درويش (ففى أى مكان تضعه نعود لتجده فى نفس المكان)..

معنى ذلك أن الطفل المتمرد أو المتحرك أو المتفاعل هو الشخص غير المرغوب فيه.. مع أن هذا الطفل المتحرك أو المتفاعـل أو غيـر الطيب (بلغة أهل بلدنا) هو الذى لا يتعرض بسهولة بعد ذلـك لأزمـات نفسية أو اكتئاب أو أمراض عقلية..وهو المؤهل بعد ذلك إلى الإبداع، إذا هيئت له بيئة للإبداع...أما الطفل الآخر الهادئ طول الوقت ربمـا هـو الذى يتعرض بعد ذلك لأزمات نفسية ويسهل اكتئابه وتعرضه للضـغوط النفسية.

الإبداع يحتاج منا جميعاً في المرحلة القادمة إلـى وقفـة جـادة، تتعرف الأسرة فيها على ماهية الإبداع وسمات الطفل أو الابن المبـدع، وكيف تهيئ له الأسرة والمدرسة والجامعة بيئة الإبداع اللازمة.

سادساً: إبعاد سيطرة رأس المـال عـن المعرفـة والإعـلام والسياسة:

بدلاً من أن يساهم رأس المال في سد العجز في مجالات التنميـة والإنتاج، فإن رأس المال ممثلاً في بعض رجال الأعمال وغيـرهم قـد أصبح عبئاً على التنمية وتوجهات المجتمع والسياسة، مما أدى إلى عـدم إتاحة الفرصة للكفاءات، لقد تحكم رأس المال إلى حد كبير في اتجاهات المعرفة وتوجهات الإعلام وإصدار القرار السياسي، وأصبحنا نعاني من تزاوج بين المال والسلطة..

ومن السلوكيات التي تتمركز حول هذا المحور، والتي أدت إلى سرقة المال العام وإهداره وتهميش ذوي الكفاءة قبل الثورة، ما يلي:

(١) كان من الطبيعي أن تجد رأسمالي كبير يقود الحركة داخل حزب حاكم أو حزب معارض، ويلوح كثيراً باستطاعته "المالية" على حل المشكلات، وكان هذا الصنف من البشر – للأسف – يفتقد المهارات السياسية أو التنظيمية، وقد دخل مثل هؤلاء من أبواب متفرقة على الرغم من أن هذه الأبواب قد اشتركت في توجه واحد وهو الاعتماد على بريق المال وسطوته.

(٢) استغل بعض رجال الأعمال لأماكنهم حيث سلطتهم السياسية في احتكار السلع المختلفة التي تمثل حاجات أولية للشعب، بل عملوا على سن القوانين التي تتناسب ومصالحهم المادية والتجارية.

(٣) زادت الدعوة إلى خصخصة الجامعات ، لتصبح في ظل مجلس أمناء وتدار بواسطة رجال الأعمال، وحيث تفر المعرفة الصحيحة أمام الفكر التجاري المتشبع بجمع المال.

(٤) أصبح من السهل تماماً وبقليل من المال لبعض رجال الأعمال أن يبثوا أفكارهم المريضة وتوجهاتهم غير المألوفة عبر قنوات فضائية يمتلكونها، وبسيادة فكر المكسب والخسارة لا يهمهم قِيَم أو مبادئ أو أعراف أو أخلاق – المهم أن تبث القناة كل ما يؤدي بهم إلى كنز الذهب والفضة.

(٥) سيطر رأس المال على الإنتاج الفني، وبفكر المكسب الباهظ أيضاً سيطر رأس المال على توجهات الدراما المصرية، فأصبحنا لا نرى

سوى القصة الهزيلة والسيناريو الذي خرج عن حدود معايير الأخلاق، من نوع الفيلم المسمى " أحاسيس " وبدلاً من أن تكون أفلامنا هادفة إلى تعبئة التوجهات القيمية والفضائل والمبادئ وتكوين أحاسيس موجبة، تحولنا إلى كائنات لا تحس ولا تغيير على نفسها وعلى الحال الذي آلت إليه البلد...

(٦) تحكم رأس المال أيضاً – بمبدأ المكسب والخسارة– فيما ينشر وما لا ينشر من موضوعات على مستوي سوق الكتاب العربي.. والذي أدي إلى عزوف الكثير من الأكاديميين بالذات عن التأليف لهذا السبب، إضافةً إلى سبب أخر وهو بخس الحقوق المادية لهؤلاء المؤلفين بصور وأساليب تختلف من دار نشر إلى أخرى.

سابعاً: العمل على تكريس الفهم الجديد للمواطنة:

إن أبسط تعريفات الديمقراطية هو حق الشعب في حكم نفسه بنفسه، وسبيل الديمقراطية هو في ترسيخ العدالة، فعندما يعيش الشعب العدل فإنه يشبع دافع الحرية.. من هنا فإن هذين المبدأين وهما العدل وحق الحرية يصبحان المحوران اللذان تقام على أساسهما التنشئة والتربية للطفل من خلال مؤسسات التنشئة والتربية، التي أبرزها الأسرة، والمدرسة، والإعلام، ودور العبادة، فيستمر دفع الإنسان وتوجيهه دوما نحو الممارسة السليمة للديمقراطية فهمًا وسلوكًا.

إن حق الإنسان في الحرية ناتج عن نزعة فطرية، ومن ثم فإن الإنسان دوما وبطرق مختلفة نراه تلقائيا يدافع عن حقه في الحرية ويكافح من أجلها، وهذا الدفاع وذلك الكفاح يبدو بصورة أكبر حين يكون

استشعار الإنسان للحرية الذاتية فيه أقوى وأنضج.. ولو تتبعنا تاريخ الأمم والشعوب لوجدناه مليء بالكفاح والنضال الذي يحركه دافع الحرية، تلك التي لا تمنح ولا ينتظر الإنسان من يهديها له، فإشباع الإنسان لحريته يفسح له الطريق إلى إشباعه للأمن، فالحرية هي استشعار الأمن، وبالحرية تتعدد مصادر وروافد الأمن عند الإنسان، ومن ثم يستنهض عاطفة الحب بمعناها العام، حيث الحياة بمفرداتها وانسجام الإنسان معها، ومن ثم يستطيع الإنسان تأكيد ذاته في مجالات الحياة وضروبها، فيؤدي الواجب ويعرف حقه ويصل إلى أفق الحياة الأرحب، وهذا بالضبط ما حدث لإبطال ثورة الكرامة المصرية.

ولقد قام الإسلام على مبدأ الحرية وحق الإنسان فيها ذلك الذي يتطابق مع طبيعته البشرية، فبدأ بتحرير العبيد وألغى الرق، فجعل من كفارات الذنوب تحرير الرقاب، أما العبودية فلا تكون إلا للخالق وحده دون غيره، فلا ينبغي أن يكون الإنسان عبداً لإنسان أو مادة أو شهوة.

إن الصلة بين مبدأ العدالة وبين تحقيق الإنسان لحاجاته الإنسانية، من مأكل ومشرب وملبس على النحو السوي صلة قوية. فالعدالة حياة يتضح فيها الواجب والحق، بها يعيش المواطن آمنا على نفسه وأسرته ومصدر رزقه، وصحته، ولا يتحقق ذلك وهو جائع، إذن لابد أن يكون في الوضع المحقق له مستوى معيشي لائق في ظل عدالة مجتمع، هذا المستوى سوف يخضع للمتاح في الوطن، ولكن هذا المتاح موزعاً توزيعًا عادلاً بين أفراد الأمة، وهكذا يتحقق أمن المواطن فيحب وينتمي ويؤكد ذاته على النحو المطلوب ومن ثم تنهض الأمة.

وعلى أساس العدل والحرية يشعر الإنسان بالمواطنة، وأعتقد أن التعريف الأكثر قبولاً للمواطنة، هو : "أنها تعني الشراكة بين أبناء الوطن فى أرض الوطن والأحقية فى الاستمتاع بخيراته والواجبة فى تعميره بصفة المواطن إنساناً بغض النظر عن اللون أو الجنس أو العقيدة"

فتعبير المواطنة يحمل انتماءً عالياً ومتنامياً للإنسان تجاه موطنه، بما فيه من أفراد وإمكانات وأهداف، ويجعل الإنسان أكثر مساهمة في مسيرة الوطن متقبلاً للآخر فيه، فالوطن يصبح في نظر الإنسان الذي يعيش عدلاً وحريةً شراكة مجتمعية بينه وبين الآخر، هو فيه كما الآخر فيه وله ما للآخر..

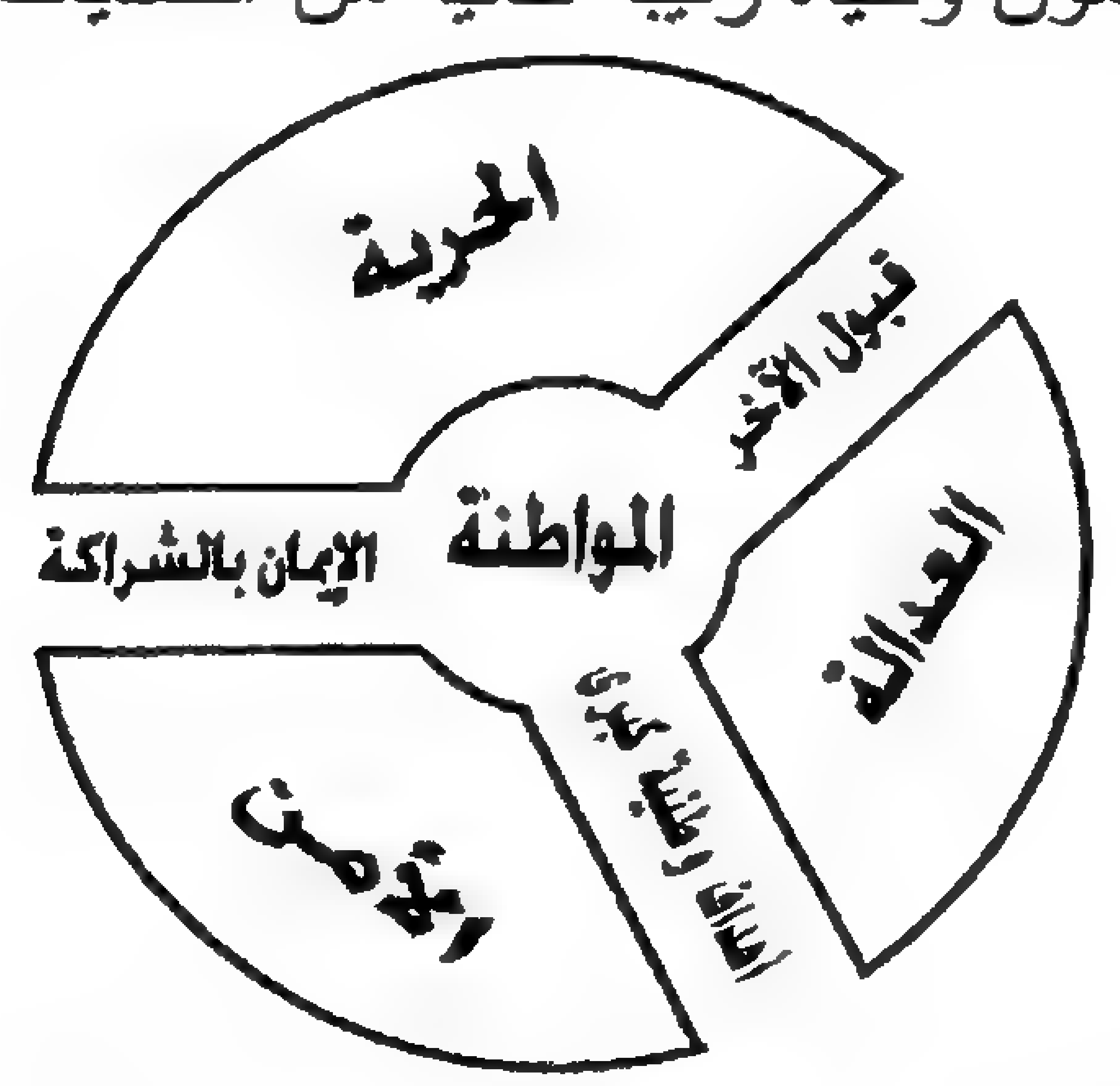
وهنا يمكن القول: أن شعور الإنسان بالمواطنة لا يمكن أن يتحقق على أرضية ديكتاتورية، بل أرضية من الديمقراطية التي تتمثل عملياً في الحرية –العدالة– الأمن..

وللمواطنة ثلاثة روافد تعمل على استمرارها وتغذيتها وتعزيزها، هي:

- **إيمان الإنسان بالشراكة الوطنية**، بمعنى أن فئات المجتمع على اختلاف أطيافهم السياسية والدينية والإجتماعية والاقتصادية هم شركاء في الوطن.
- **قبول الآخر**: يجب أن يؤمن المواطن بأن الآخر له حرية الرأي وحرية التعبير، ويحق عليه أن يقبله على النحو الذي يريده لحياته طالما لا يتعدى على مبدأ العدالة و الحرية وأمن الوطن.

- **استمرارية وجود أهداف وطنية كبرى..** فالمواطن الذي يعيش الحرية و العدالة والأمن في حاجة دائمًا لتفريغ طاقاته في أهـــداف وطنيـــة كبرى، وهذه الأهداف في تحقيقها تحقيق لذات المواطنة، في الوقـــت الذي تعمل على تجميع الأطياف المختلفة دائماً وتوحدهم حول أهداف كبرى، بدلاً من أفكار صغيرة سطحية أو فئوية ليس فيها غير الفرقة والنزاع، والذات المصرية مستعدة لهذا – كما أوضـــحت ذلـــك فـــي الفصل الأول – بل أن الشعب المصري يضعف انتماءه بدون مشروع قومي يتحدى قدراته، لذلك وجدنا كيف كانت قدراته في تجلياتها وهو يعزف لحن الثورة حتى تم له اقتلاع النظام الفاشل.

إن عدم وجود أهداف وطنية كبرى في مسيرة المجتمـــع، تجعـــل الشعب في حالة كمون وحياة رتيبة خالية من التحديات وأسباب التقدم.



شكل يوضح روافد تنمية وتعزيز المواطنة

لقد رأينا حق المواطنة في حرب ١٩٧٣ يتجلى بأروع صـــوره، رغم أن حاجات الإنسان المصري لم تكن محققة بصورة يتـــوافر فيهـــا كامل العدالة أو الحرية.. لكن الهدف الوطني الكبيـــر يجعـــل الإنســـان

المصري متغلباً على الكثير من عدم إشباعات الحاجات الأولية وحاجات الأمن، في سبيل إشباع المواطنة التي تتجلى في حب بين أفراد المجتمع وفئاته، وتقبل الآخر..

ولابد مع رياح التغيير وثورتنا المباركة أن نعمل علـــى وصـــول ثقافة المواطنة إلى جميع أفراد المجتمع، فهذا الأمر يعد مـــن الأهميـــة، للأسباب الآتية:

- إن ثقافة المواطنة تعزز مبادئ الديمقراطية، التـــي تهيـــئ مجتمعنـــا للعيش في ظلها، إضافةً إلى تعزيز المعرفة بحقوق الإنسان.
- إن ثقافة المواطنة هى البديل الموضوعي للسلوكيات المنحرفة التـــي تبناها النظام الفاسد، وكاد أن يفسد بها الوحدة الوطنية، مثل الحرص الحكومي للتعانق المفتعل بين رجال الدين الإسلامي والمسيحي أمـــام كاميرات التلفزة، وقطار الوحدة الوطنية السنوي في رمضان ..إلـــى غير ذلك من السلوكيات غير الطبيعية .
- إن ثقافة المواطنة تؤدي إلى سرعة اســـتنهاض المصـــري لطاقاتـــه وسماته الفطرية الموجبة..

ويجب أن تحوي المناهج الدراسية ثقافة المواطنة، فـــي مراعـــاة للعمر الزمني والمراحل التعليمية، بل انه يوجد برنامج كامل للتنوير من أجل تعزيز المواطنة لطلبة الجامعة، كان قد أنجزه تلميذي الدكتور وائـــل عشبة في رسالته للحصول على درجة الدكتوراة في علم النفس التربوي تحت إشرافي عام ٢٠١٠، وهذه البرامج هى الأولى من نوعهـــا، حتـــى

الآن، وقابلة تماماً للتطبيق وتحمل قدراً كبيراً من الموضوعية والصدق التطبيقي ..

ثامناً : تنمية التفكير الموضوعي وتعديل ثقافة المواطن:

إن المرحلة القادمة لابد فيها من تغيير في أسلوب تفكيرنا ومعتقداتنا، لابد أن تسود ثقافة الرأى واحترام الرأى الآخر، وثقافة الحفاظ على الملكية العامة، وثقافة احترام مطالب المواطن في أماكن خدمة المواطنين، ولابد أن تنتهي ثقافة النفاق والمداهنة الرخيصة في دوائرنا الحكومية، لابد أن تنتهي سلوكيات تأليه الحاكم، ولذلك أرجو أن يتجه التأسيس السياسي لنظام الحكم نحو الأخذ بالنظام البرلماني، وليس الرئاسي، كفانا تمركزاً حول الشخص، وكفانا ما عانى منه المجتمع من النظم الفرعونية في تشكيل مؤسسات الدولة ..

من جهة أخرى، أصبحت حياتنا بعيدة عن ترجمة الإيمان في القلب كعقيدة إلى سلوك قويم وعمل وإنتاج وإعمار للأرض ومعاملات طيبة، وما يؤكد على هذا هو أن تعاملنا مع الحياة ومجالاتها المختلفة، قد أخذ بظاهر الدين وليس بجوهره. فنؤدي العبادات ، ولكن ذلك لا ينعكس في أداءات يومية تذهب بنا نحو تقدم علمي ، وأصبح دستورنا المتمثل في كتاب الله عز وجل مجرد كتاب في جيوبنا وسياراتنا وتحت الوسادة ، وأصبحنا نسمي أولادنا "إسلام" و"مؤمنة" ومازال الأداء اليومي أبعد ما يكون عن الإيمان الحقيقي، والدليل على ذلك أننا مازلنا نستورد غذائنا، ومازلنا نستورد أدواتنا الكهربائية والكتابية، حتى فانوس رمضان والسجادة والسبحة تصنعها لنا الصين!!

ومن السلوكيات التي تعزز من هذا المحور الشائك المهم، والتي لابد أن تنتهي مع رياح التغيير:

(١) يغادر الموظفون في المؤسسات الحكومية مكاتبهم قبل أذان الظهر بساعة للوضوء والصلاة جماعة، في الوقت الذي لا يراعون فيه ضرورات العمل وقضاء مصالح الناس، وفي الوقت الذي يمكنهم أن يصلوا بعد انتهاء أوقات العمل، أو الصلاة فردياً في مكاتبهم ..

(٢) يتكرر غياب الموظف عن عمله في نهاية رمضان بحجة سهره ليلاً صلاةً وتسبيحاً، وإذا حضر إلى العمل لا يؤدي بالقدر المرغوب فيه.

(٣) يتناول الإعلام قضايا من وحي الشيطان تحت ستار الدين، ومتجاهلين تعليمات رب العزة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾

(المائدة:١٠١)

وفي هذه الموضوعات جرأة وإباحية، ولا تمثل أولويات حياة المسلم.

(٤) القنوات الإسلامية المتخصصة، كل مهمتها الأدعية وقراءة القرآن والحث على العبادات.. ومتناسية تماماً أن مهمة الإنسان على الأرض أيضاً هو إعمار الأرض والتقدم، مما يؤدي ذلك إلى نفور الجمهور .. فلا تريد هذه القنوات أن تخضع حتى لمبدأ أعلامي مهم، وهو أن كل ما تريد أن تعطيه من توجيهات وأدعية وقراءة قرآن كريم يمكن أن يتم من خلال رسالة إيحائية وليست مباشرة، من خلال

برامج تتعلق بظروف الناس وواقع حياتهم، وما يجب أن يكونوا عليه من نشاط يومي يؤدي إلى إعمار الأرض والتقدم.

(٥) انتشار فتاوى العبث على شاشات التلفزة ، وعدم وجود ضابط رسمي لها، مما أدي إلى تراجع في هيبة المؤسسة الدينية.

(٦) توظيف الدين في العبث والفساد، مثل حال مواطن يقوم بإنشاء طابق أو طابقين في منزله متجاوزاً ما تقرر له رسمياً، معلقاً عليها لوحة مكتوب فيها" لا إله إلا الله محمد رسول الله" ..فلا يخضع لإجراءات الإزالة، وبذلك يكون قد حمي نفسه من قانون ترخيص المباني!!

(٧) كل الفن أصبح على الإطلاق حراماً، فنحت التماثيل حرام، والرسم حرام..كل شيء في حياتنا هو بين حلال وحرام... والأمر لله وحده.

(٨) لفظ " العلماء " في بلدي يطلق فقط على شيوخ الأزهر- مع احترامي لهم- للدرجة التي أصبح هذا الفهم يعزز من تراجع دور المعرفة، إلا المعرفة الدينية البحتة.. وهذا الأمر يكرس ثقافة التقليل من أهمية علوم إعمار الأرض ودعوة الله سبحانه وتعالي إلى العلم والمعرفة وتأمل الكون.

(٩) مازلنا نناقش أمور غريبة، والعالم من حولنا قد ذهب إلى المريخ، هل النقاب حرام أم حلال؟ هل الحجاب مبدأ إسلامي أم يخضع للحرية؟ ما هي أركان الزواج؟ ما هي أنواعه؟ هل ندخل الحمام بالقدم اليمني أم اليسرى؟ هل نضع يدنا ونحن نصلي على الصدر أم البطن أم نتركها تسبح في الهواء؟!

(١٠) الكلام يطول حول سلوكيات متعددة أساءت إلى الإسلام وأدت إلى مزيد من تسطيح العقل الإسلامي، منها ما يطلق عليه العلاج بالقرآن الكريم أو بالرقيا أحياناً مستخدمين ألواناً وأصنافاً من نباتات وأدوات، إضافةً إلى تفسير الأحلام، مستغلين في ذلك سذاجة الكثير من الناس، وبدلاً من نشر الثقافة الإسلامية الحقة التي تؤدي إلى التقدم وسيادة التفكير العلمي، فقد قاموا بتحنيط الإسلام وجعلوا الناس يعبدون أصناماً أخذت صوراً مختلفة من الأعشاب تارة ومن أدعية وترانيم تارة أخرى، والإسلام منهم براء.

(١١) أصبحت الدعوة من بعض الدعاة الرسميين والدعاة الهواة تتسم بالتشدد والتطرف، الأمر الذي وصل إلى حد الاعتداء على العقائد لشركاء الوطن، ويلبسون الحق بالباطل تحت ستار مبادئ دينية مغلوطة....

تاسعاً: عودة انتصار أكتوبر إلى ذاكرة شباب الأمة:

قد لا يعلم شباب اليوم أهمية انتصار أكتوبر (العاشر من رمضان) على جيلي وأجيال سبقتني، فلن يعرف هؤلاء الشباب هذه الأهمية إلا إذا نُقل لهم كيف عشنا أحداث النكسة والانكسار في عام ١٩٦٧ ، فكانت انتصارات أكتوبر هي العملية الجراحية والدواء الذي شفانا من أمراضنا النفسية، بل الاضطرابات العقلية التي أصابتنا في عام ١٩٦٧ وحتى النصر.

هذه الانتصارات التي سبقتها بطولات في حروب الاستنزاف عديدة، رفعت بها مصر رأسها من جديد، فهل هذه الفرحة والأفراح التي

شدت من أزرنا واستعدنا بها تاريخنا وهاماتنا يكفي تسجيلها في فـيلم أو اثنين فقط ؟ في كل عام وفي ذكـرى هـذه الفرحـة لا نجـد إلا فـيلم "الرصاصة لا تزال في جيبي"!

هل هذه الانتصارات هى أقل من أن تقوم الدولة بنفسـها لإنتـاج الدراما بمختلف صورها، وبالذات الأفلام لتسجيل هـذا التـاريخ وهـذه الأحداث التي تدرس بتكنيكاتها في المعاهد العسـكرية الدوليـة ؟ لمـاذا تجاهلنا هذا حتى أصبحت المعلومات عن هذه الانتصارات بـلا مرجـع ..وليست في ذاكرة الأجيال الجديدة ؟

لماذا تجاهلنا أبطالها ولم نحتفي بهم على مدى السنوات السـابقة ونبرزهم كقدوة للأجيال ولأفراد القوات المسلحة الحاليين؟

لماذا لم نقدم لهم كل ما يعينهم للتغلب على مصاعب الحياة معيشياً وعلاجاً لأمراضهم ؟ فهل يصل الأمر بأن نتجاهل أحمد الهـوان بطـل المخابرات المصرية، الذي وضع أنف المخابرات الإسرائيلية في الطـين ولقنهم العديد من الدروس، ونتركه يعاني المرض والفقر..؟ ونطلق على من قام بتمثيل دور جمعة الشوان في المسلسل لقب الزعيم ..!

هل من الطبيعي أن ننتج فيلماً لجمـال عبـد الناصـر أو أنـور السادات ليشار من خلاله إلى انتصار أكتوبر، أم ننتج أفلاماً لانتصارات أكتوبر العظيمة ليذكر فيها دور هؤلاء الزعماء الأعزاء..؟

حتى في المناهج الدراسـية، لـيس لحـرب أكتـوبر وحـروب الاستنزاف الوزن المرجو، والذي من المفروض أن يقدم بما يتناسب مع العمر الزمني للتلميذ متدرجاً من الابتدائية وحتى الثانوية.. إن ذلك كلـه

من السلبيات القاتلة التي سنها النظام السابق الفاشل، ذلك الذي كانت كل سياساته تؤدي إلى القضاء غلى تاريخ البلاد وهويتها..

فإذا أردنا أن نعطي دروساً في تماسك الأمة وانتمائها لتلاميذنا من خلال المنهج على اختلاف المقررات، يمكن أن يكون مدخلنا هو انتصارات أكتوبر والإعداد لها، وإذا أردنا دروساً لهم في التروي وعدم الاندفاع في الإعداد للعدو وإصدار القرار، يمكن أن يكون مدخلنا انتصارات أكتوبر..

وإذا أردنا دروساً لشبابنا وأولادنا في التمسك بحبل الله العظيم ونصرته حتى يقودنا إلى النصر، يمكن أن يكون مدخلنا انتصارات أكتوبر والصبر في الإعداد والتخطيط.

أما إذا أردنا أن نعطي دروساً لتلاميذنا في المدارس عن المبادئ المترتبة على فوضي إصدار القرار وعدم تحديد الهدف ، وعدم التمسك بطريق الله المستقيم، فيكون مدخلنا إلى ذلك هو ما حدث من هزيمة عام١٩٦٧..

وهكذا نستطيع أن نبقي على تاريخنا في ذاكرة الأمة من خلال التعليم ومناهجه.

والله الموفق، والنصر لإرادة الشعب

دائماً بأذن الله تعالى...

كُتب أخرى للمؤلف

١. **نظرية الركائز الأربعة للبناء النفسي** (فهم سلوك الإنسان فى ظلال الفرقان)- دار صفاء - الأردن

٢. **معالجة اللغة واضطرابات التخاطب** - الأنجلو المصرية.

٣. **علم النفس الفسيولوجى** - الأنجلو المصرية.

٤. **الأساليب المعرفية:** (بين النظرية والبحث) - الأنجلو المصرية.

٥. **الضغوط النفسية فى مجال العمل والحياة** (ترجمة) - دار صفاء - الأردن.

٦. **الميتاانفعالية** - دار صفاء - الأردن.

٧. **الميتامعرفية** - الأنجلو المصرية

٨. **الإعاقة العقلية** - دار صفاء - الأردن.

٩. **صعوبات التعلم** - الدار الصولتية - السعودية.

١٠. **دافعية الإنسان** (بين النظريات المبكرة والاتجاهات المعاصرة):- دار الفكر العربي.

١١. **الحاجات النفسية فى حياة الناس اليومية**(قراءة جديدة فى هرم ماسلو) - دار الفكر العربى.

١٢. **الشعور بالقرف** (فى دنيا العنف والصلف) - الأنجلو المصرية.

١٣. **سيكولوجية الوسطية** لتعزيز الاعتدال ومواجهة التطرف- الأنجلو المصرية

١٤. **أساسيات تحليل الكتابة باليد** - دار صفاء - الأردن.

١٥. **اضطرابات التخاطب** - دار صفاء - الأردن.

١٦. **الإنسان العربى بين حاجاته النفسية والشعور بالقرف**- دار صفاء - الأردن.

١٧. **العنف في مصر ..لماذا..والى أين ؟** - الأنجلو المصرية

فى هذا الكتاب..

تسجيل لخطوات الثورة من اللحظة الأولى، فى إطار دراسة أبعادها النفسية والاجتماعية والسياسية..

وقد تم عرض البيئة الدافعة للثورة من خلال قراءة المشهد المصرى قبل الثورة تمهيداً لدراسة الأسباب المحددة للثورة وعرض المراحل النفسية التى مر بها المجتمع والثورة .. ومن ثم عرض بانوراما الإصلاح والتغيير .. وآثارما بعد الصدمة.

ثم دراسة رياح التغيير التى تعود بمصر إلى شبابها وهويتها .. ممثلة فيما يجب أن يكون تغيير فى منظومة التعليم، وإعادة هيبة الدولة وتنوير الشعب فى مفاهيم المواطنة والديمقراطية والتزامات الحرية والحقوق والواجبات، وتهيئة الأسرة والمدرسة كبيئة إبداع وابتكار.

الناشر

ISBN 977-05-2711-4





المؤلف:

د. حمدى الفرماوى

أستاذ علم النفس التربوى - جامعة المنوفية.

- نُشر له مؤلفات وترجمات عديدة فى مجال علم النفس التربوى، بصفة عامة ومجال علم النفس المعرفى وعلم النفس من منظور إسلامى، خاصة.
- نُشر له العديد من البحوث فى مجال علم النفس، وألقى الكثير منها فى مؤتمرات عالمية ومحلية وعربية
- فاز بجائزة الجامعة التشجيعية ... العلوم النفسية والتربوية عام ...
- يرأس الجمعية المصرية ... النفسى....

مطابع جامعة المنوفية